الله

والعلم والإيمان

تأليـف
الدكتور خليـل السيد

تقـديم
الدكتور أحمد نوفـل

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٢ / ٥/١١٣٠)

٢٤٦

سيد السيد، خليل

الله و العلم و الإيمان/خليل السيد._عمان: المؤلف،٢٠٠٢.

( ) ص .

ر.أ : (١١٣٠/ ٥ / ٢٠٠٢)

الواصفات: :/ الإسلام//الإيمان//الله/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الله

والعلم والإيمان

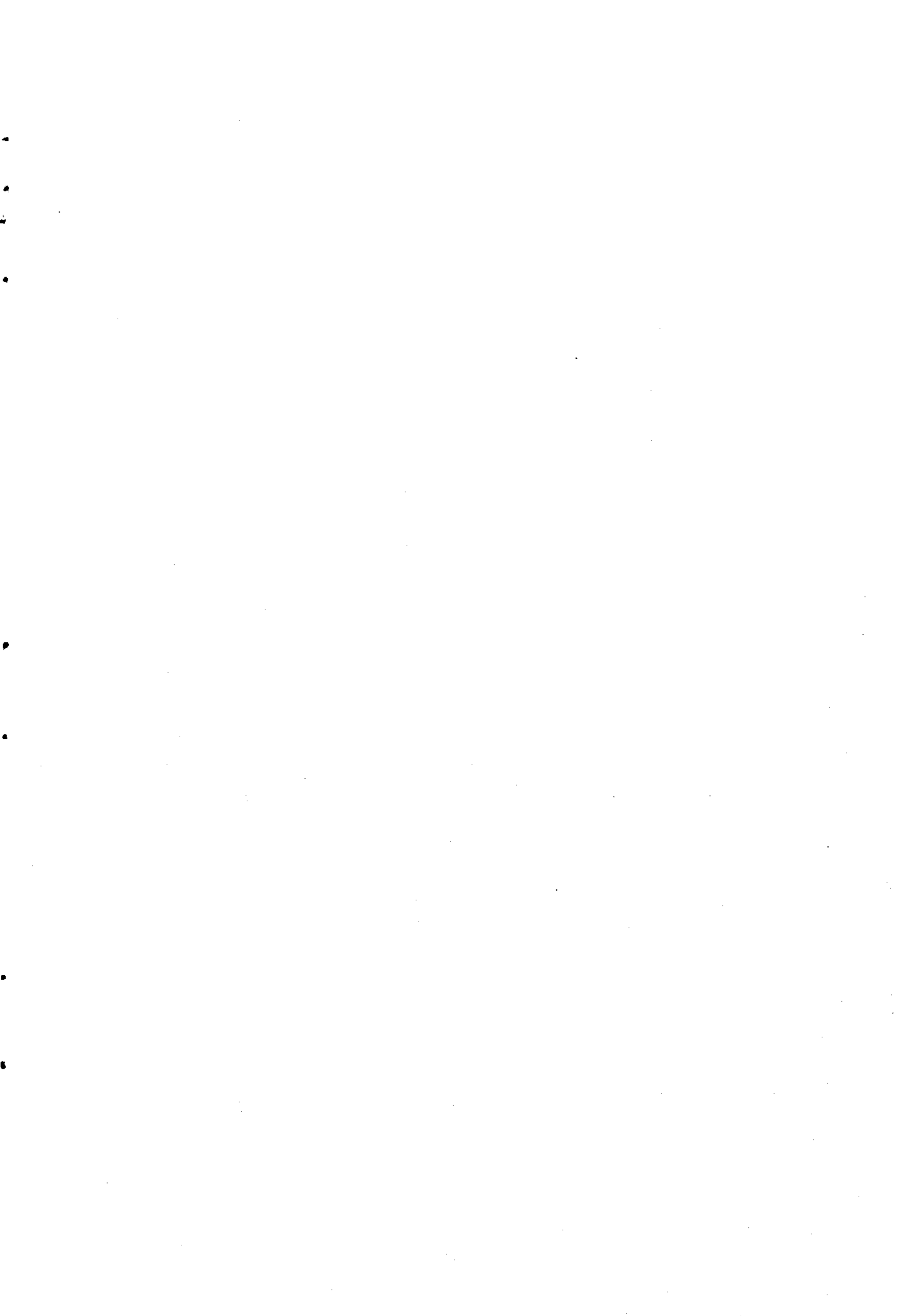
بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

(آل عمران ١٩٣ - ١٩٥)

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

(آل عمران ٦٤)



الإهــداء

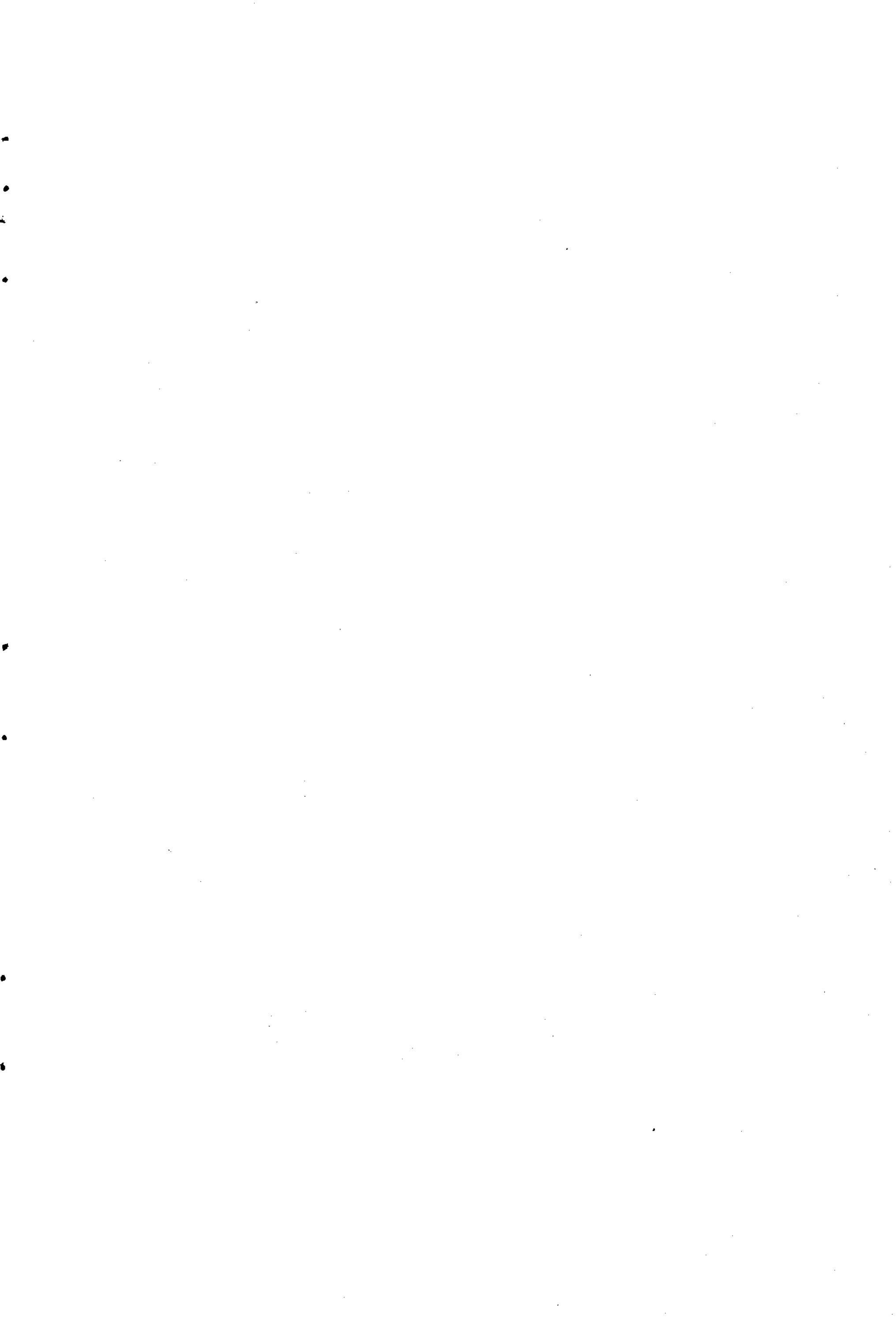
إلى أرواح الشــهـداء الأبرار في مـخـيم جنـــين وطولكرم ورام الله والخليل وبيت لحم وبيت جـالا وغـزة والقدس الشـريف وكل الشــهـداء الأبطال في كـافـة المدن والقـرى والمخـيـمـات الفلسطينيــة وأرواح أولئك الذين روّتْ دمـاءهم الزكـيــة ثرى فلسطين خـلال أكثر من نصف قرن من الكفاح والنضال فكان لهم الفضل الأكبر في ايقاف الغزو البربري عن الوطن العربي والإسلامي كله .

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ

(البقرة ١٥٤)

الدكتور خليل السيد

٢٠٠٢/٥/١



بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

سماحة الأستاذ عز الدين الخطيب التميمي

قاضي القضاة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ،والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين.

وبعد: فقد كانت ساعة سعيدة تلك التي طلب إلي سعادة الأخ العزيز الدكتور خليل السيد أن أطلع على مؤلفه هذا :"الله والعلم والإيمان" وزاد من سعادتي تصفحي لما ورد فيه من دلائل وبراهين علمية وعقلية على إعجاز القرآن الكريم وعلى أنه وحي من الله تعالى الى رسوله الكريم سيدنا محمد بن عبدالله خاتم النبيين.

وقد عرفت الأخ الدكتور خليل السيد منذ سنوات طويلة من خلال المؤسسات العلمية ، فهو من عشاق العلوم والمعارف وعشاق الفكر والتربية والثقافة فلا غرابة أن يهتم هذا الاهتمام البالغ في مسألة الإعجاز القرآني وبخاصة الإعجاز العلمي الباهر وكأنه يريد أن يتمثل بقول الفيلسوف ابن رشد:

هذّب النفس بالعلوم لترقى	فترى الكل فهو للكل بيت
إنما النفس كالزجاجة والعقـ	ل سراج وحكمة الله زيت
فـإن أشرقــت فـإنـك حـــيٌّ	وإن أظلمت فـإنـك مَيْتُ

ومن الجدير بالذكر أن اعترف هنا بأن الأخ الدكتور خليل السيد قد بذل في تأليف كتابه ـذا جهداً فكرياً كبيراً، إذ أخذ ينتقل من روضةٍ إيمانية الى روضة فكرية ومن مجال قرآني إعجازي ـى مجال آخر بصورة تنقل ذهن القارئ وعقله وبصره ليحلق في آفاق الكون الفسيحة، ويغوص ـى أعماق البحار الشاسعة العميقة، وتتبع أحوال الأحياء من إنسان وحيوان وطير ونبات وما ـمله من غرائز وحاجات وما هي عليه من أحوال وصفات وما هي عليه في أحوال ومسالك ـما في ذلك من اتساق مستخلصاً ذلك كله من انسجام نظام الكون، مع نظام القرآن ونظام ـلإسلام.

وقد أحسست أنه يرمي من وراء تأليفه هذا الكتاب الى أهداف عدة منها :
ـن يصب القناعة العقلية والطمأنينة القلبية والراحة النفسية والوجدانية في عقول القراء وقلوبهم ـأحاسيسهم بأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد، وأنه هو وحده الإله القادر القاهر المنزه عن ـلمثيل، وأنه هو المنظم لشؤون الكون والحياة وشؤون الأحياء بصورة تبهر العقول وتستولي على ـلأفئدة ومن أهدافه أن يبرهن على أن القرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي تحدى به البشر عرباً وعجماً إلى يوم القيامة. تحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله، لتكون النتيجة أن القرآن هو وحي من الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. ومن ثم يكون محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله إلى الناس كافة وأنه خاتم النبيين و المرسلين.

الشيخ عز الدين الخطيب التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي شرفنا بالإيمان والإسلام ، وخصنا بالقرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام ، وجعلنا خير أمة أخرجت للأنام .

وصلى الله وسلم وبارك على الذي بعثه الله فينا ليعلمنا الكتاب والحكمة والأحكام .

وبعد ، فإن معجزة نبينا أعظم المعجزات وأدومها وأخلدها ، وهي متميزة على كل المعجزات ، فبينما كانت المعجزات السابقات تخضع العقل بخرق الناموس الكوني ، وكانت منفصلة عن الكتاب ، إذ بمعجزة النبي الخاتم هي عين كتابه لا شيئاً منفصلاً عن الكتاب . . . وهي معجزة تقنع العقل وتخاطبه بما يستجيشه للتفكير والوصول الى القرار .

وصحيح ان المعجزة التي تحدى بها العرب ، أمة الدعوة والرسالة في حلقة الخطاب الأولى ، كانت معجزة بيانية ، ولكن أوجه الإعجاز لا تتوقف عند المعجزة البيانية ، بل إن من أعظم أوجه الاعجاز ألا تتناهى أوجه الاعجاز . . .

ولما كان هذا الكتاب كتاب الخلود ، والخطاب الموجه ما دام هذا الوجود ، ولما كان هذا الكتاب لا تنقضي عجائبه ، بل تتجدد آياته

ومعجزاته الباهرات كلما اتسعت آفاق العلم وانزاحت ظلمات الجهل عن العقل ، كما قال عز وجل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . . . ﴾ .

وهذه الآية تعني أن آيات الكون شاهدة لآيات القرآن الكريم قاطعة أنه الحق الذي أنزله الله على إمام الرسل وخاتمهم ﷺ .

فكلما جد في العلم جديد ، وكلما اكتشف من ناموس الكون كشف جديد ، سيشهد كل هذا للقرآن . . فليس العلم إلا قانون الله في الوجود ، والقرآن هو كلام الله للوجود ، فلا يعقل إلا أن تكون كلمات الله وقوانين الله متضافرة متآزرة في بيان الحق ، لا تعارض بينها ولا تناقض ، ولا خلف ولا اضطراب ، فإن حصل فإنما هو في سوء الفهم وسوء تدبر قوانين العلم أو آيات الكتاب .

وآفة الإفراط أو التفريط آفة في الإنسان قديمة وحديثة ، ومن هنا فإن أناساً بالغوا في تحميل الآيات ما تحتمل وما لا تحتمل من أوجه الإعجاز العلمي وقوم أقفلوا الباب وردوه بالجملة ، فأضاعوا لوناً من ألوان الإعجاز ووجهاً من أوجه كان يمكن أن يكون مجلياً لآيات الله ، مخاطباً غير المسلمين بالوسيلة التي يفقهون ، وبالخطاب الذي يفهمون .

والإعجاز العلمي في القرآن وقضية الإيمان وجهان في مسألة واحدة ، فالمقصد الأسمى للإعجاز إنما هو الوصول الى قضية الإيمان وتحقيق حقيقة واحدة في قلب الإنسان وعقله ، من هنا جاء هذا الكتاب : الله والعلم والإيمان .

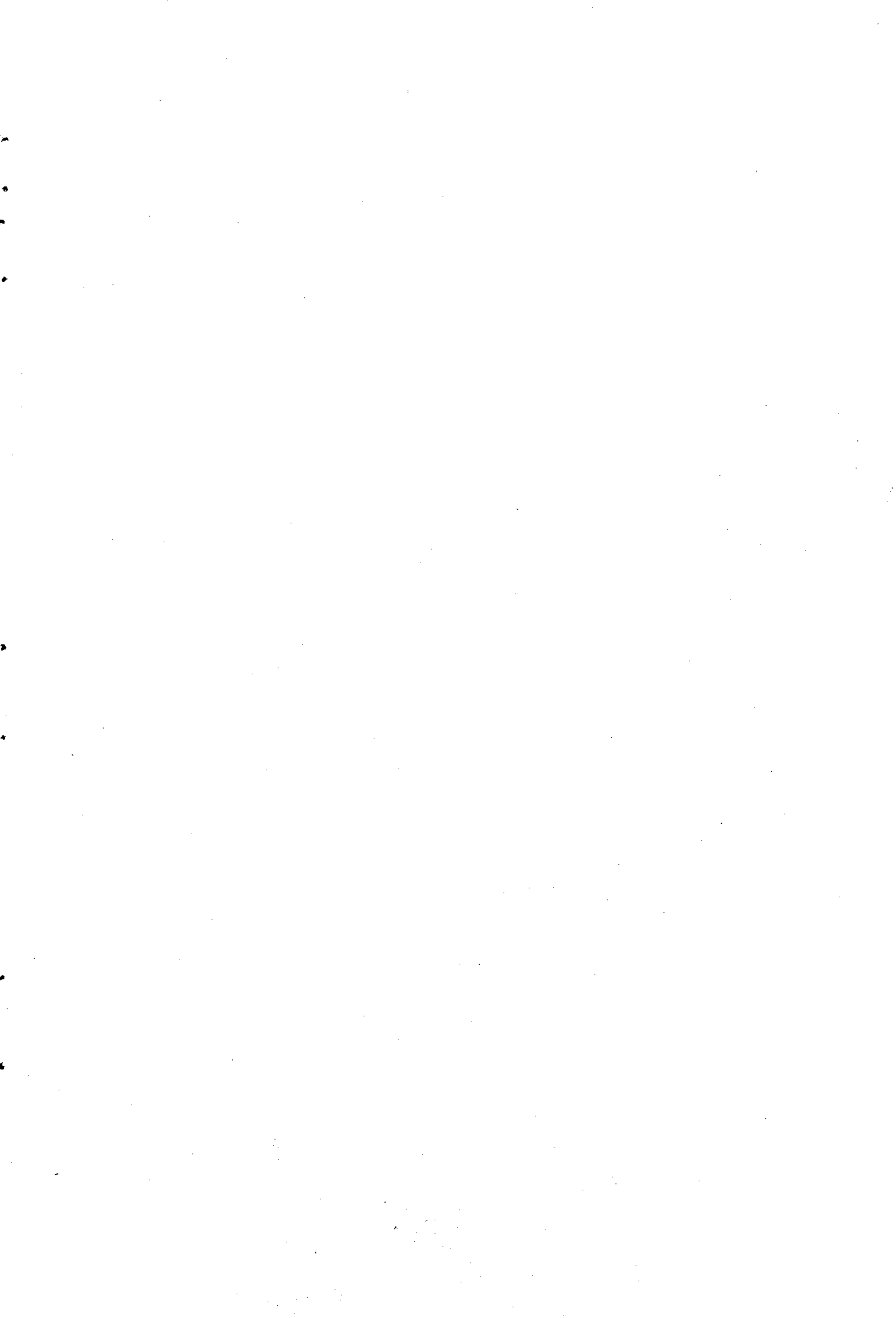
والأستاذ الدكتور خليل السيد في كتابه هذا يؤدي هذه الغاية ويقصد هذا المقصد الذي هو أشرف المقاصد . . . أن يقرب الإيمان من قلوب وعقول أهل هذا الزمان . . . ويخاطبهم بخطاب العصر دون ان يتكلف او يتعسف او يحمّل النص فوق ما هو له .

وفي الكتاب لفتات طيبات ، وومضات موفقات ، ونفحات علويات ، وفيه جواهر من أقوال أهل الاختصاص ، قيلت أصلا في مسائل العلم ولكن الكاتب وظفها في قضية الإعجاز والإيمان .

وبعد ، فإن الكتاب الذي نتحدث عنه كتاب يتحدث في الإعجاز العلمي للقرآن الذي هو من أعظم أوجه الإعجاز ، في كتاب تعددت فيه أوجه الإعجاز ، وهو بعد كتاب في الإيمان الذي هو مقصد الدين وغاية الدين . وهدف المرسلين كان دوماً أن يوصلوا الناس الى اليقين ، والعلم خير سبيل في ايصال الناس الى هذا اليقين .

نسأل الله ان يتقبل جهد المؤلف وينفع به ويكتب له التوفيق والقبول . والحمد لله في البدء والختام ، وصلى الله وسلم على خير الأنام ، والسلام .

الدكتور أحمد نوفل



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله ، الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى ورحمة للعالمين ، الحمد لله الذي جعل هذا الكون ناطقاً بقدرة الله وعظمته .

الحمد لله أولاً وآخراً وصلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته على رسوله الكريم ، النبي الأمي الأمين ، وسيد الخلق أجمعين .

ربنا قد عملنا بتوفيقك لإخراج هذا الكتاب حتى يكون عوناً للمؤمنين في دعواهم إلى صراطك المستقيم بالحكمة والموعظة الحسنة في هذا الزمن الذي يتعرض فيه الدين إلى هجمة شرسة من الأعداء في كل مكان . ليس لنا من هدف إلا إعلاء كلمة الله وخدمة هذا الدين العظيم ، وجذب الآخرين إلى الإسلام بالفكر والعقل والمنطق .

ومع أن القرآن الكريم هو كتاب هداية إلا أن الحقائق العلمية التي احتواها تظل وجهاً علمياً إيمانياً إلى جانب الحقائق الدينية فالله تعالى

أنزله بالحق وخلق الكون بالحق فقال جل وعلا

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

(الإسراء١٠٥)

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

(الأنعام ٧٣)

مع هذا فإنني أقول بأنه من الخطأ اعتبار القرآن الكريم كتاب علم أو مصدراً للعلوم العصرية أو أساساً للتقدم العلمي والتكنولوجي ، بل هو كتاب الله الذي أنزله بالحق على رسوله الكريم ليكون هادياً للبشرية في كل زمان ومكان فاحتوى على الحقائق العلمية كوجه من وجوه الهداية الربانية التي أعطت للمسلمين السبق في ميادين العلوم والحضارة الإنسانية جعلتهم أصحاب الفضل على النهضة العلمية الحديثة بما قدموه من انجازات علمية وتكنولوجية في كافة المجالات .

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾

(فصلت ٥٣)

لقد وضعت هذا الكتاب وبذلت فيه الكثير من الجهد ليزداد

المؤمنون به إيماناً وليهدِ الله به قوماً آخرين . فإن اسأت فذاك بتقصيري ، وبرحمتك ربي الُوذ وأنت أرحم الراحمين ، وإن أحسنت فذاك بفضلك وتوفيقك ، وأنت العزيز الحكيم .

لقد كان مفروضاً علي في بعض المواقع من الكتاب ان اكرر شيئاً من المعلومات وهو تكرار مقصود حتى يكتمل المعنى وتتحقق الفائدة وعذري في عملي كله ان الكمال لله رب العالمين وبفضله وتوفيقه تعالى كان عملنا هذا طلباً للثواب ، فلا تبخل علينا أيها القارىء الكريم بالنقد الذي يحقق المزيد من الفائدة .

أدعوك ربي بما علمتني في كتابك الكريم :

إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ (الكهف ١٠)

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(البقرة ٢٨٦)

وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

(الأعراف ١٢٦)

رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

(ابراهيم ٤٠ – ٤١)

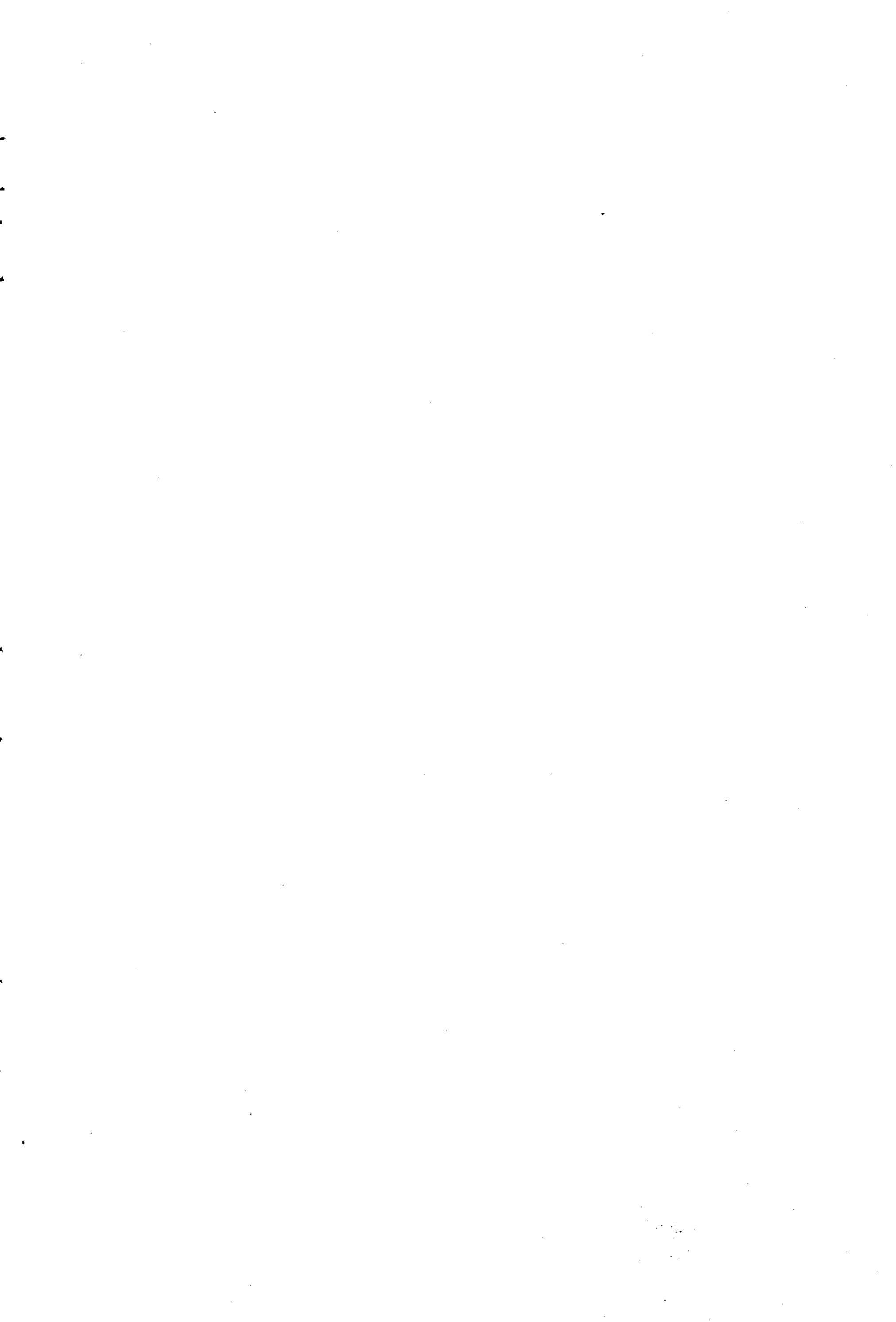
الفصل الأول

الله

دلائل على وجوده تعالى

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

الطور ٣٥ ، ٣٦



الدلائل على وجود الخالق

الدلائل على وجود الخالق متعددة وكثيرة ، وليس هناك من مخلوق إلا وفيه ما يدل على وجود الخالق وعظمته

وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (الذاريات ٢١)

ولعل أعظم تلك الأدلة ما جاءنا من الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله الكريم محمد ﷺ ﴿قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد﴾ فالوحدة في الخلق لدليل قاطع على وجود الخالق ووحدانيته ونستطيع بكل سهولة أن نصل إلى وجود الخالق سبحانه وتعالى بالأدلة الواردة في القرآن الكريم .

الأقرار بوجود الخالق بالفطرة

أن النفوس الطيبة المؤمنة التي لم تمسها قاذورات الشرك تقر بوجود الله بالفطرة التي أوجد الله عباده عليها حتى إنّ أولئك الناس الذين عميت بصيرتهم وضلوا عن سبيل الله وجدوا معبوداتهم من الأصنام والأشخاص فوقفوا عندها وركعوا لها يقدسونها ،

فالعرب في الجاهلية عبدوا الأصنام . . . فركعوا وسجدوا لها عابدين !!

والبوذيون عبدوا زعيمهم بوذا . . . فركعوا وسجدوا له عابدين !!

والهندوس عبدوا البقر . . . فركعوا وسجدوا لها عابدين !!

وها هم الشيوعيون الذي أرادوا أن يتحرروا من عبادة الآله انزلقوا في الغواية ليعبدوا لينين ، فنراهم يمرون أمام جثته يوم وفاته حاني رؤوسهم ، فبدل أن يعبدوا الله خالقهم عبدوا ميتا من البشر ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

إن وجود الله وتوجه الخلق السوي لعبادته وتوحيده سبحانه وتعالى أمر فطري بديهي ، تأمل في قول الحق سبحانه وتعالى :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم ٣٠)

إن الفطرة تدعو الإنسان إلى عبادة الخالق ، لكنه قد ينحرف عن الصراط المستقيم متأثراً بالبيئة التي يحياها أو العائلة التي ينتمي إليها وقد تؤثر فيه شياطين الجن إذ أخذ الشيطان على نفسه عهداً بإضلال بني آدم :

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

(ص ٨٢ - ٨٣)

والقرآن وصف الشيطان وصفاً رائعاً وطلب منا الاستعاذة من شره بقوله تعالى

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى
يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾
(سورة الناس)

وحتى تعرف وتتأكد من تأثير الفطرة في الرجوع إلى الله : تخيل نفسك تركب في طائرة وتحلق في الجو فأنت وكل من في الطائرة عند أي اهتزاز وتمايل للطائرة التي أصابها خلل ما ، تعودون إلى الله حتى إن الملحدين من الركاب يرفعون أكفهم مع المؤمنين يدعون الله قانتين ، وفي كل موقف رهيب يختفي الشرك والإلحاد ويتوحد الناس بفطرتهم إلى الله تعالى العلي القدير فهو ملجؤهم وملاذهم

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

(سورة الاخلاص)

الواقعية والسببية تدل على وجود الخالق

إن النظرة الحكيمة المتفحصة للمخلوقات ، وما فيها من بديع الصنع وما يكشفه العلم كل يوم من جديد الخلق ، وهذا التوافق العجيب في المخلوقات والنظم الرائعة في الكون والبيئة التي أحكمت خلقاً لتوافق حياة الإنسان ، وكل الظواهر الكونية التي نراها ونعيش فيها ، هي في الحقيقةواقع موجودولا بدّ لكل إنسان عاقل أن يقر بوجودها ، وعملاً بقانون السببية «لا يمكن أن يحدث شيء بنفسه من غير محدث» لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده ولا يستطيع أن يعطي غيره شيئاً لا يملكه هو ولا يقدر عليه بتكوينه الناقص ، فلا بد لهذا الوجود من خالق هو العليم القدير .

لو رأينا إنساناً انتقل من أسفل بناية الى اعلاها فلا نستبعد ذلك ولا نستغربه ، لأن الإنسان لديه القدرة على ذلك . أما إذا رأينا حجراً انتقل من ساحة البناية الى أعلاها ، فاننا نجزم ان الحجر لم ينتقل بنفسه بل لا بد من

شخص رفعه ونقله ، لأن الحجر ليس لديه خاصية الحركة والصعود[1] .

وتعالوا نتفكر في قول الخالق سبحانه تعالى

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الطور ٣٥ ، ٣٦)

ومع كل هذا فقد نجد شخصاً يكابر في الكفر فيقول لقد خلقت نفسي أو قد يزعم أنه يحيي ويميت كالذي حاج إبراهيم في ربه

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (البقرة ٢٥٨)

وذلك الذي يقول (لقد خلقت نفسي) هل يستطيع أن يزعم أنه خلق السماوات والأرض ؟ فإذا كان العدم لا يوجد سماء ولا أرضاً ، وإذا كانت السماء والأرض لم توجدا نفسيهما ، وإذا كان هؤلاء لا يستطيعون الادعاء بأنهم أوجدوا ذلك كله فإنه لا بد لهذا كله من موجد .

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

(البقرة ٢٥٥)

---

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية ، صفحة ٩٣ ، الدكتور علي أحمد السالوس وآخرون .

المخلوقات آيات تدل على وجود خالقها

إن كل شيء في الكون هو آية ناطقة بأن الله ربها وخالقها ، إننا عندما نقرأ القرآن يأخذنا في جولات علمية واجتماعية يطوف بنا في الآفاق ويسير بنا في الأرض ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا يبينها لنا ويفتح أبصارنا وبصائرنا على أسرار الكون ومعجزات الخلق ويرينا الله قدراته وتقديراته في كل ما حولنا وما يحيط بنا وفي أنفسنا بحكمة بالغة وإنشاء عجيب وبلاغة رائعة بكلام لا يقدر عليه إنس ولا جان ولو اجتمعوا معاً . وبين لنا الله سبحانه وتعالى عظم نعمه التي حبانا بها وسخرها لنا وقدرها بدقة فالشمس بصفاتها وأبعادها ودرجة حرارتها والقمر بصفاته والأرض والجبال والبحار وسائر مخلوقات الله هداها الله وقدرها لتكون مسخرة من أجل الإنسان وبقائه ، فخلق الله كل ما في الكون ليتوافق مع خلق الإنسان وطبيعته وتكوينه لتشكل مع الإنسان وحدة حياتية واحدة تحقق له الحياة وإلا لما كانت حياتنا على الأرض ممكنة .

تمعن في قول الحق سبحانه وتعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

(إبراهيم ٣٢ - ٣٤)

وبعد كل هذا البيان فإن الله سبحانه وتعالى يعرف أن في خلقه كثيراً من المشركين والكافرين والمستكبرين فدلنا سبحانه وتعالى على أسلوب مخاطبتهم ومقارعتهم بالحجة والبرهان فأعطانا آيات لنرد بها عليهم .

تفكر في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣)﴾ (الأنبياء ٣٠ - ٣٣)

إرادة الخالق فوق إرادة المخلوقات

تأمل في هداية الله للمخلوقات كي تقوم بدورها وبالوظائف التي خلقها الله من أجلها .

فالجينات تؤدي وظائفها . . .

والخلايا تقوم بأدوارها . . .

والأجهزة تمارس أعمالها . . .

وكذلك كل ما في الكون يقوم بالوظائف التي خلقها الله من أجلها ، إنها هداية الله لمخلوقاته

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠)﴾ (طه ٤٩ - ٥٠)

أنظر إلى خلق الإنسان من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ،

لاحظ كيف يندفع الحيوان المنوي من الرجل دون إرادته - حتى يكون الخلق كله من صنع الخالق وليس للإنسان فيه أي تدخل ليلتقي مع البويضة في المرأة وكل منهما يتألف من ٢٣ كروموسوماً ليتحدا ويشكلا خلية واحدة حية هي الزيجوت المكون من ٤٦ كروموسوماً وهو العدد الطبيعي في الخلية الكاملة .

فهل تعلم الخصية في الرجل ما أُعد لها في مبيض الأنثى حتى تكمل النقص في عدد الحوامل الوراثية (الكروماسومات) ، وهل تعلم الخصية وكذلك المبيض أن مصير ما ينتجانه من الخلايا الناقصة هو الاتحاد لتكوين خلية كاملة . لا شك أن الخالق العظيم عليم بما يصنع ، حكيم في تقديره وتدبيره .

يقول الحق تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (الواقعة ٥٨ - ٥٩)

انظر كيف تتحول تلك النطفة المذكرة بعد اتحادها بالنطفة المؤنثة إلى إنسان كامل التصوير والتركيب والتكوين ، فتتكون الأيدي والأقدام والعينان والأذنان والقلب والرئتان والعظام و . . . حتى يكتمل الجسد كله . فمن يشرف على ذلك التكوين الدقيق البديع ، ومن يرعى عملية البناء تلك بما فيها من تنسيق وتناسق وتناغم وتماثل وتكامل . وهذا كله ليس سوى الجسد الذي يحتاج إلى تلك القوة الخفية التي نفخها الله فيه ، فأعطاه القوة والإدراك والحركة والتصرف والكلام وسائر الصفات الإنسانية التي تتمثل بالروح التي لا يعلم مكنونها إلا الله

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾

(الحجر ٢٨ - ٣١)

وتأمل كيف تسير عملية التكوين في رحم الأم فجعل الله النطفة في القرار المكين (مكان في الرحم) وخلق النطفة علقة ، فخلق العلقة مضغة ، فخلق المضغة عظاماً فكسى العظام لحماً ثم أنشأه خلقا آخر .

فهل الطبيعة البليدة هي التي خلقت ؟

أم هل الصدفة العمياء هي التي خلقت ؟

أم إن الإنسان المخلوق هو الذي خلق ؟

وحتى تصل إلى حقيقة الخلق اقرأ قوله تعالى :

ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

(المؤمنون ١١ - ١٦)

لاحظ في الآية الكريمة تكرار كلمة ﴿خلقنا﴾ للدلالة على أن كل مرحلة من مراحل التكوين هي وحدة مخلوقة بذاتها وليس خلق الانسان تطوراً كما جاء في نظرية دارون التي ثبت بطلانها اليوم علمياً . ولاحظ أيضاً كيف خلق الله العظام أولاً ثم كساها لحماً وبعدها أنشأ الإنسان بكامل صفاته وأوصافه ، إنها من المعجزات العلمية الكبيرة التي جاءنا بها الله تعالى قبل أكثر من أربعة عشر قرناً والآن يكشفها علم التشريح الحديث بالاستدلال العلمي .

كذلك هل تعلم بأن الله أوجد في الإنسان تلك المعامل الكيماوية المعقدة المعروفة باسم (الغدد الصماء) التي تمده بالتركيبات الكيماوية الضرورية لحياته والتي تسيطر على جميع أوجه نشاطه كما أن لتلك المواد من الفاعلية بحيث إن جزءاً من بليون منها يحدث آثاراً كبيرة ، وهي مرتبة بحيث يَعتمد بعضها على بعض وإذا اختل توازن أي من إفرازاتها المعقدة يحدث اختلالاً ذهنياً وجسمياً بالغ الخطورة .

فمن هو الخالق الخبير ؟

ومن هو الخالق الحكيم ؟

ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

(النجم ٣٢)

انظر إلى النمل كيف يجمع غذاءه ويخزنه لوقت الحاجة فإذا خزنه عمد إلى ما ينبت منه ففلقه لئلا ينبت فإذا كان ينبت مع فلقه عمد إلى تكسيره أربع فلقات وإذا أصابه بلل خاف عليه من الفساد والعفن فأخرجه في الشمس ليجف تماماً ثم يعيده إلى بيته مرة أخرى .

انظر إلى حشرات النمل الأبيض وما يقول فيها الدكتور يوسف عز الدين في كتابه (هل هو الله أم الطبيعة) يقول : من الغرائز التي وهبها الله لمثل هذه الكائنات الضئيلة ما هو مذهل ، على سبيل المثال ما نراه في مستعمرات النمل الأبيض ، فإذا زاد أفراد المستعمرة عن الحد المعقول بالنسبة لكمية الغذاء

المتاحة ، فإن هذه الحشرات تدرك هذه الحقيقة عن طريق الغريزة فتبدأ الأفراد في التهام عدد كبير من البيض وبذلك تسهم في حل مشكلة زيادة أفراد المستعمرة ومشكلة الغذاء . إذ أن التهام البيض يعتبر تغذية وفي الوقت نفسه يقلل من عدد الذرية . إن هذه الحشرات لا تدرك لماذا تفعل ذلك ، ولكنها الهداية الإلهية التي تلهمها بعمل ما لا يمكن أن تدركه من الأشياء التي تفيدها وتجنبها العناء .

ولقد ذكر كريسي موريس في كتابه (العلم يدعو للإيمان ترجمة الأستاذ محمود الفلكي) أن ثعابين الماء تلك المخلوقات العجيبة في تصرفاتها متى اكتمل نموها هاجرت من مختلف البرك والأنهار ، وإذا كانت في أوروبا قطعت آلاف الأميال في المحيط ، قاصدة كلها الأعماق السحيقة جنوبي برمودا ، وهناك تبيض وتموت أما صغارها التي لا تعرف شيئاً عن وضعها فإنها تعود أدراجها وتجد طريقها إلى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها ومن ثم إلى كل نهر أو بحيرة أو بركة صغيرة ، لقد قاومت التيارات القوية والعواصف والامواج المتلاطمة على كل شاطىء حتى إذا اكتمل نموها دفعها قانون خفي إلى الرجوع حيث كانت بعد أن تتم الرحلة كلها . فمن أين جاء هذا الحافز الذي يوجهها ؟ ومن أين جاءت قوة التنفيذ تلك ؟

والفراشة الأنثى التي ترسل إشارة خفية إلى الذكر الذي يكون على مسافة بعيدة ، ولكنه يتلقى تلك الاشارة ويطير مسرعاً إلى أنثاه ، ترى هل لتلك المخلوقات الضعيفة محطة إذاعة (إرسال) وهل للذكر جهاز (استقبال) أم تراها تهز الأثير ويتلقى الذكر هذا الاهتزاز ؟

وهناك نوع من الجنادب الأمريكية تحك ساقيها أو جناحيها معاً ، فيسمع صريرها في الليلة الساكنة على مسافة نصف ميل ، إنها تهز حوالي ٦٠٠ طن من الهواء لتنادي رفيقها .

وكثير من الحيوانات إذا فقدت جزءاً من جسمها سارعت الخلايا بتعويضه بنشاط بالغ ، ومتى تم ذلك كفت الخلايا عن العمل ، وكأنها تعرف متى تعمل ومتى تتوقف .

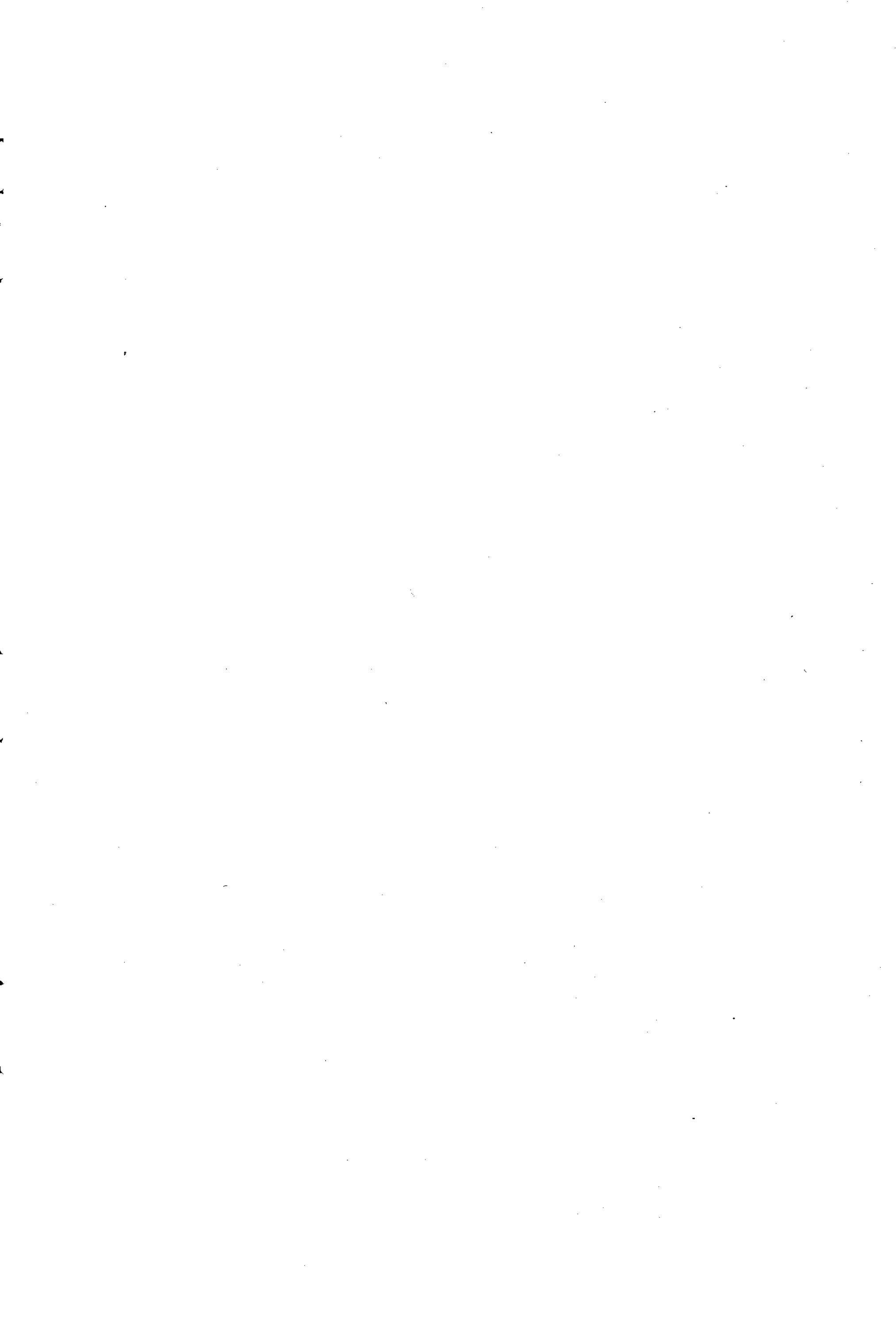
نعم أنها هداية الله للمخلوقات كي تقوم بدورها والوظائف التي خلقها الله من أجلها . فتبارك الله أحسن الخالقين .

الفصل الثاني

الاعجاز في القرآن الكريم

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا

(النساء - ٨٢)



بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

يتفق العلماء منذ أقدم الأزمنة حتى يومنا هذا على سبعة أوجه من الإعجاز القرآني نوردها كما يلي :

الأول : الإخبار عن الغيب

وهذا ما لا يقدر عليه بشر مهما أوتي من عقل أو قوى خارقة ومن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بأنه سيظهر هذا الدين على الأديان كلها ، اقرأ قول الله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

(التوبة ٣٣)

وها هم المسلمون خلال خلافة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب يقوضون أركان مملكة كسرى ويزيلون ملك ملوك فارس فلم يعد إلى اليوم ولن يعود أبداً بفضل الله تعالى ، وها هم يفتحون بلاد الشام ومصر ويزيلون ملك قيصر عنها من الفرات إلى مصر وهو ما كان يسمى إمبراطورية الروم وكتب الله للمسلمين النصر عليهم ، ففعل الله تعالى ما أورده في القرآن وأظهر الله الإسلام على الدين كله .

قال الله عز وجل

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾

(آل عمران ١٢)

وقال الله في أهل بدر

وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ (الأنفال ٧)

وقد وفى الحق سبحانه وتعالى بما وعد عباده يوم بدر .

إذ قال الله تعالى في وقعة بدر

سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

(القمر ٤٥ - ٤٦)

لقد نزلت هذه الآية قبل بداية المعركة .

الثاني : الصدق في الوعد والدقة في الوصف

واليكم بعض الأمثلة :

- قال الله تعالى قبل دخول مكة :

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (الفتح ٢٧)

وهكذا تحقق وعد الله ودخل المسلمون مكة فرحين بنصر الله ، آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين .

- وقال الله تعالى في أبي لهب وامرأته :

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

(المسد)

وفعلا مات أبو لهب وزوجته دون أن يدخلا في الإسلام وسيصلى وإياها ناراً ذات لهب .

- وقال الله تعالى في انتصار الروم :

غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾

(الروم ٢ - ٤)

وفعلا تحقق انتصار الروم على الفرس سنة ٦٢٤م اي بعد سبع أو ثمان سنوات من الهزيمة التي كانت حدتها في سنة ٦١٦م وتحقق بذلك وعد الله .

ولعل في كلمة (ادنى) اعجاز كبير فهي تعني (اقرب) كما تعني اخفض . فالمعركة بين الروم والفرس حصلت في ارض الشام وفلسطين وهي الاقرب الى الجزيرة العربية ، كما انها تمت حول البحر الميت وهو الاخفض عن مستوى البحر على الاطلاق .

والآيات التي تخبر عن الغيوب والظواهر الوصفية في القرآن الكريم كثيرة جداً ، وما أوردناه للدلالة فقط .

الثالث : الحالة العلمية للرسول ﷺ

لقد كان معروفاً لدى عامة الناس في عهد النبي ﷺ والمقربين إليه بأنه

كان أمياً لا يحسن الكتابة والقراءة ، كما كان لا يعرف شيئا من كتب الأولين والسابقين ، ولا عن قصصهم وأخبارهم وسيرتهم ، إلا أنه أتى إلينا بالكثير من الأحداث التي وقعت وأنبأنا عن الأمور الكثيرة والصغيرة من حين خلق الله آدم عليه السلام ، ثم ذكر لنا قصة نوح عليه السلام وكذلك إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم ، وغيرهم من الملوك والفراعنة .

والمعروف عن حال النبي ﷺ بأنه كان غير ملازم لأهل العلم ولا حملة الأخبار كما لم يكن في أي مجلس من مجالس العلماء ولا الشعراء في ذلك الوقت . كما أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يقرأ فيأخذ أي علم أو أخبار من الكتب الأخرى ولذلك قال الله عز وجل

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

(العنكبوت ٤٨)

والمعروف أن من كان يتردد على المجالس بقصد التعلم لم يخف على الناس أمره وقد كان معروف فيهم كل من يتقنون العلم أو الشعر أو الصنعة فلو كان منهم لذكروه بما هو فيه واشتهر بينهم بعلمه أو شعره أو صنعته .

الرابع : كلام خارج عن العادة

لقد أنزل الله القرآن الكريم بنظم بديع وتأليف عجيب ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم سبحانه وتعالى عجز الخلق عن الإتيان بمثله .

فجاء القرآن الكريم بأسلوب خاص به خارج عن المعهود من كلام العرب ومخالف للمألوف من ترتيب خطابهم وليس به من أساليب الكلام المعتاد عندهم ، فهو كلام خارج عن العادة فهو معجزٍ ، وتلك خصوصية تعود إلى القرآن الكريم وحده .

بقي أن نذكر أن ما في القرآن الكريم من الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة ، والفوائد الكثيرة ، والحكم الغزيرة ، والتناسب في البلاغة ، والتشابه في البراعة على هذا القدر كلها مجتمعة لا توجد في كتاب من صنع البشر مهما أوتوا من العلم والذكاء فتأمل قول الحق تعالى

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢٣) (الزمر ٢٣)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء ٨٢)

فأخبرنا الله تعالى بأن كلام أي مخلوق إن طال وامتد وقع فيه التفاوت وظهر عليه الاختلاف .

إنك تجد في القرآن الكريم القصص والمواعظ والحكم والأحكام والإعذار والإنذار وتجد فيه الوعد والوعيد والتبشير والتخويف كما تجد فيه من تعليم الأخلاق الكريمة والصفات الرفيعة وتجد ذلك من الوجوه التي ترد في عجيب من النظم وبديع من التأليف لا تفاوت فيه ولا تباين وهذا بالتأكيد لا يقدر عليه بشر مهما أوتي من قوة أو علم أو ذكاء .

لاحظ التشريع الالهي المحكم في توزيع الارث إنه حقاً اعجاز أبهر علماء التشريع في العالم على مر العصور .

كما أن نظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن أسلوب أي كلام

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

(الإسراء ٨٨)

وتحضرني هنا كمثال فقط آيتين ذكرهما الله سبحانه وتعالى تبدو مكررتين في موضعين في القرآن الكريم :

الأولى :

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

(الإسراء ٣١)

الثانية :

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

(الانعام ١٥١)

لاحظ المعنى المختلف في الآيتين فالحق سبحانه وتعالى يقول في الآية الأولى إذا كنتم تقتلون أولادكم خوفا من أن يكونوا السبب في فقركم فنحن نرزقهم (هم) أولا ثم أنتم .

وفي الآية الثانية إذا كنتم تقتلون أولادكم لأنكم فقراء (أي إذا كان الفقر فيكم) فنحن نتكفل برزقكم ثم نرزقهم .

الخامس : الإعجاز بالعلم والظواهر الكونية

بقي أن نذكر أن هذا القرآن اشتمل على آيات بينات فيها من الإعجاز العلمي ما يثبت أنه المعجزة الكبرى التي أنزلها الله على نبيه الكريم فهو يتضمن من التفسيرات العلمية لما نشاهده اليوم من ظواهر طبيعية وعلوم تطبيقية جاء بها القرآن قبل أن يخبرنا عنها العلماء بأكثر من أربعة عشر قرناً .

فأخبرنا عن كروية الأرض ودورانها والكون واتساعه ، كما أخبرنا عن النجوم وتباعدها ودورانها ، وتطرق إلى بداية الخلق ودورة المياه والكثير الكثير من الحقائق العلمية والظواهر الكونية التي ابهرت العلماء في العصر الحاضر .

واشتمل القرآن الكريم على الكثير من الحلول لمشاكلنا العصرية من تربية وتعليم واقتصاد كما تطرق إلى ما نعانيه اليوم من مشاكل حياتية واجتماعية وأسرية وعالج كل الأمور المعاشية وتطرق إلى أحدث ما توصل إليه علماء النفس في أيامنا هذه .

فمن سار على دربه أبصر طريق الحق ومن أعرض عنه ضل وهوى فهو كتاب الله ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
(فصلت ٤٢ - ٤٣)

إن معرفة الإعجاز في هذا القرآن العظيم يقوي عزيمة إنسان ضعيف الإيمان ، ويعطي المؤمن المزيد من القوى والمنعة وفي ذلك يقول الله تعالى

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾
(فاطر ٢٨)

إنني على يقين بأن كل ما يُكتشف ويستجد من العلوم في المستقبل لم يغفل عنها القرآن الكريم بل ذكرها شموليا بقوله تعالى ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ أي أن الله تعالى يعطينا من العلم ما يشاء بالقدر الذي يشاء وفي الوقت الذي يشاء ، بحيث يبقى هذا القرآن العظيم متواصلاً مع تطور البشرية وتقدمها على مر الأجيال والعصور .

لقد بين القرآن الكريم بكل سهولة ويسر كيفية بداية الكون حيث ذكر بأن هذا الكون خلق من عدم وأنه كان دخان (غازات) كما أظهر أن بداية كل شيء حي كانت من الماء .

وبين القرآن الكريم أن الإنسان خلقه الله تعالى من التراب (صلصال كالفخار) ثم شرفه الله تعالى وكرمه على سائر المخلوقات بأن نفخ فيه من روحه حيث تميز عن سائر الخلق وصار أهلا للخلافة وحمل الأمانة ، وأمر الملائكة أن تسجد له تكريماً وتشريفاً

فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ

(الحجر ٢٩)

وأخبرنا القرآن الكريم أن مصير هذا الكون ألى الفناء

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(القصص ٨٨)

ومع هذا فلا يجوز القول بأن هذا القرآن هو كتاب علم ، بل هو كتاب هداية للناس كافة اشتمل على العلم باسلوب اعجازي عظيم .

السادس : الإعجاز بالشمول والتوازن :

لقدثبت بكل المقاييس أن التشريعات الواردة في القرآن الكريم والسنة

النبوية الشريفة صالحة لكل زمان ومكان وستظل إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ، كما أنها لا تصلح لمكان دون آخر فهي للناس كافة وهي لكل الشعوب في كل مكان من هذه الدنيا الواسعة

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾

(الأنبياء ١٠٧ - ١٠٨)

والقرآن الكريم جاء شاملاً لجميع شؤون الخلق وافياً لإقامة العدل والحياة ، نافعاً للإنسان في دنياه وفي آخرته خلال أطوار حياته المختلفة ، وإن القرآن الكريم جاء ليحقق للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة فيرسم له طريق السلوك السوي ويحفظ له الصحة في بدنه وروحه ، فالقرآن يعطينا المنهاج الشامل والكامل في كل مناحي الحياة فلم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ففيه الشمول والكمال في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتشريع والسلوك وعلم النفس والعبادات . إنه يتدخل في كل الأمور من أكبرها في الحكم والحكام إلى أصغرها في الشؤون اليومية الاعتيادية ، تمعن في قول الله تبارك وتعالى :

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

(المائدة ٣)

كما أن القرآن الكريم وضع أسساً وقواعد ثابتة فحقق التوازن بين متطلبات الحياة والآخرة ، وحدد حقوق الناس وحقوق الله ، كما أسس قواعدالتوازن بين الروح والمادة دون إفراط أو تفريط . لهذا امتازت الشريعة الإسلامية بالوسطية فراعت حقوق الفرد وحقوق الجماعة وحرصت على أن لايطغى أي حق على حق ، ولا إنسان على إنسان ، تفكر في قول الله تعالى

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ (البقرة ١٤٣)

السابع : الإعجاز بالأعداد والأرقام :

لم يحددالقرآن وجوه إعجازه أو الطريقة التي يتحدى فيها الإنس والجن بل ترك ذلك للعقل والفكر أي أن تطور العقل والفكر من شأنه أن يدل على معجزة القرآن بشكل أشمل وأعمق ، ولعل في اكتشاف وجوه جديدة للإعجاز القرآني دلالة واضحة على الإعجاز نفسه .

فقد بينا أن الدقة في الصياغة القرآنية والمعنى الكثير في اللفظ اليسير هي من وجوه الإعجاز كقوله تعالى :

وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة ١٧٩)

وكذلك فإن الشمولية في المعنى هي من وجوه الإعجاز كقوله تعالى :

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(القصص ٨٨)

كما أن الكمال والسعة في التشريع من وجوه الإعجاز كقوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

(المائدة ١)

وكذلك الوسطية والتوازن بين متطلبات الدنيا والآخرةوالروح والمادة هي من وجوه الإعجاز كقوله تعالى :

فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(الجمعة ١٠)

واليوم نلاحظ وجوها من إعجاز القرآن الكريم في الأرقام والأعداد ، ونورد هنا بعض الأمثلة :

- يتبين لنا المثال الأول في قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

(البقرة ١٤٣)

إن هذه الآية الكريمة التي تدل على الوسطية في معناها جاءت في الآية (١٤٣) من سورة البقرة التي عدد آياتها (٢٨٦) أي أنها جاءت في الوسط تماماً بين آيات سورة البقرة .

- يتبين لنا المثال الثاني في قوله تعالى :

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

(مريم ٣٠ - ٣٣)

لاحظ أن عدد الكلمات التي قالها عيسى عليه السلام - من كلام الله تبارك وتعالى - متحدثاً عن نفسه هي ٣٣ كلمة بالضبط ، ولاحظ أن الآية الأخيرة تنتهي برقم ٣٣ وفي هذا إشارة ألى عمر سيدنا عيسى عليه السلام يوم رفعه الله إليه علما بأن كلمة (قال) في بداية الآيات ليست من كلام عيسى عليه السلام .

ويتبين لنا المثال الثالث في هذه المعادلة :

- ذكرت كلمة البحر (المياه) في القرآن الكريم ٣٢ مرة وذكرت كلمة البر (اليابسة) في القرآن الكريم ١٣ مرة أي أن مجموع كلمات البر + البحر = ٤٥ كلمة .

فتكون النسبة المئوية لكلمات البحر ٣٢/٤٥×١٠٠=٧١,١٪ تقريباً

وتكون النسبة المئوية لكلمات البر ١٣/٤٥×١٠٠=٢٨,٩٪ تقريباً

وهكذا فإننا نشعر بالدهشة إزاء هذه المعجزة التي أخبرنا بها القرآن الكريم

قبل أكثر من ١٤ قرناً حيث توصل العلم الحديث إلى أن نسبة المياه على الكرة الأرضية هي ٧١,١٪ ونسبة اليابسة على الكرة الأرضية هي ٢٨,٩٪ .

والناتج هو ١٠٠٪ وهو مجموع نسبة المياه واليابسة على الكرة الأرضية .

هل هذه هي الصدفة أم أن رسولنا الكريم كان يعرف هذه المعلومات ؟!

ولعلنا نجد السر في قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ (النجم ٣ - ٥)

ويتبين لنا المثال الرابع في قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ (الحديد ٢٥)

يقول الدكتور زغلول النجار في كتابه من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم صفحة ٨٨ - ٩٠ ما يلي :

أذهلني أن أجد رقم سورة الحديد يساوي الوزن الذري للحديد ، ورقم الآية في السورة يساوي العددالذري للحديد . فرقم السورة (٥٧) والحديد له ثلاثة نظائر وزنها الذري ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ورقم الآية (٢٥) والعدد الذري للحديد (٢٦) فإذا أخذنا بالرأي القائل بان البسملة آية من السورة يكون رقم (٢٦) مساوياً للعدد الذري للحديد .

بعد هذا فلا أجد أفضل من القول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الخالق البارىء المصور المبدع وهو القائل في كتابه العــزيز

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
(يونس ١٠١)

ويتابع الدكتور زغلول النجار في كتابه المشار اليه حينما نظر العلماء الى الشمس وجدوا ان عملية الاندماج النووي في داخلها لا تصل الى الحديد ، فهي تتوقف قبل الحديد بمراحل طويلة لان الحديد يحتاج الى حرارة عالية جداً والشمس لا تتوافر فيها هذه الحرارة حيث ان درجة حرارة لب الشمس تقدر بحوالي ١٥ مليون درجة مئوية ، وهذه الحرارة لا تكفي لتكوين الحديد . فنظر العلماء في نجوم خارج المجموعة الشمسية فوجدوا نجوماً تدعى (المستعرات) ووجدوا ان حرارتها اكثر من حرارة الشمس بملايين المرات فتصل درجة الحرارة في جوفها الى مئات البلايين من الدرجات المئوية ، ووجدوا ان هذه هي الاماكن الوحيدة في الكون المدرك التي يمكن ان يتخلق منها الحديد بعملية الاندماج النووي ، ولاحظوا ايضاً ان النجم اذا كانت كتلته اقل اربع مرات من قدر كتلة الشمس وتحول لبه الى الحديد فان ذلك يستهلك كل طاقة النجم ، فينفجر على هيئة ما يسمى (فوق المستعر) وتتناثر هذه الاشلاء في صفحة الكون فتدخل بقدرة الله في مجال جاذبية اجرام سماوية تحتاج الى هذا الحديد ، هذه الملاحظة جعلت العلماء يقولون بان ارضنا حينما انفصلت عن الشمس لم تكن سوى كومة من الرماد ثم رجمت بوابل من النيازك الحديدية . الحديد بحكم كثافته العالية تحرك الى لب هذه الكومة من الرماد واستقر في جوفها ، ثم انصهر وصهرها وميزها الى سبع ارضين : لب صلب داخلي اغلبه الحديد والنيكل ، يليه الى الخارج لب سائل اغلبه الحديد والنيكل ، ثم اربعة اوشحة متمايزة في كل

منها نسب متناقضة من الحديد من الداخل الى الخارج ثم الغلاف الصخري للارض وبه ٦ر٥٪ من الحديد .

وفي ذلك يقول الدكتور استروخ وهو من اشهر علماء وكالة ناسا الامريكية للفضاء ما يلي :

لقد اجرينا ابحاثاً كثيرة على معادن الارض كما اجرينا تجارب مخبرية وكانت النتيجة المؤكدة ان المعدن الوحيد الذي له تكوين مميز هو الحديد اذ ان مكونات ذرة الحديد لكي تتحد تحتاج الى طاقة هائلة تبلغ اربع مرات مجموع الطاقة في مجموعاتنا الشمسية . . وهذا يعني ان الحديد لا يمكن ان يكون قد تكون على الارض . . ولابد انه عنصر غريب وفد الى الارض ولم يتكون فيها .

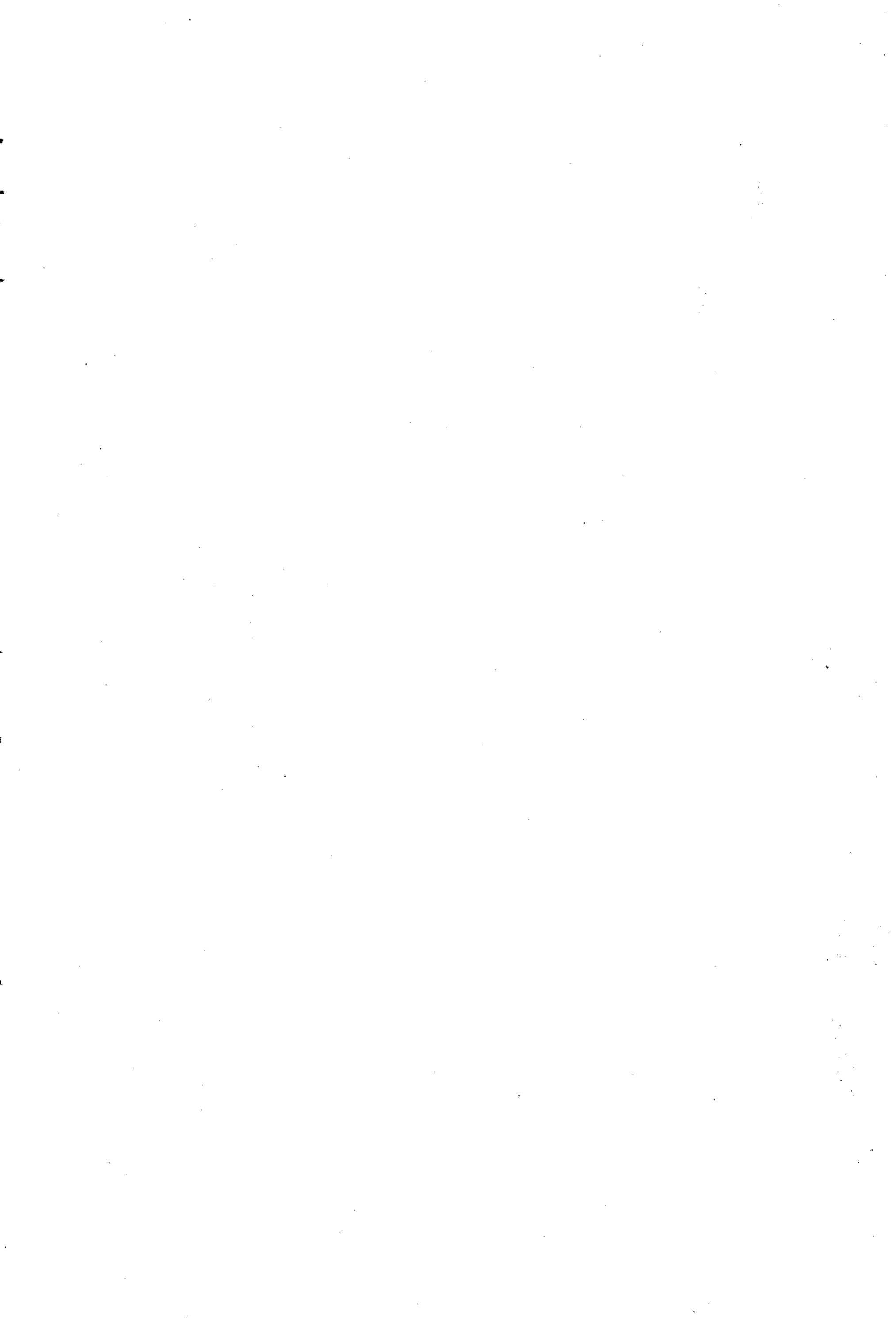
وبذلك ثبت للعلماء بان كل الحديد في ارضنا بل في مجموعتنا الشمسية قد انزل الينا انزالا .

وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ

(الحديد ٢٥)

وقد تأكد لنا علمياً ان ذرة الحديد شديدة التماسك ومن ثم فهي شديدة البأس ، وان له من المنافع العديدة ما جعل الارض صالحة للعمران وجعل الحياة ممكنة بارادة الله سبحانه وتعالى ، وجعل من الحديد العمودالفقري لكافة الصناعات الثقيلة والخفيفة .

وهذا ما يشهد للقرآن الكريم بانه كلام الله الخالق وما يشهد للرسول الكريم بانه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .



الفصل الثالث

هذا هو الله

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ

(فصلت - ٥٣)



الله هو الخالق

إذا أردت أن تعرف الله وتقترب منه فانظر إلى هذا الكون وتفكر في كل ما فيه ، أنظر كيف سخره الله لنا فجعله متوافقا مع خلقنا وقدره لنا تقديرا لتصلح به حياتنا وليكون عيشنا على الأرض سهلا وممكنا ولهذا فقد ذكر الله لنا مرارا وتكرارا النعم التي حبانا إياها القدير العليم فذكرها في عدة آيات ليبين لنا ما أنعم به علينا في أنفسنا أولا

قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾

(الملك ٢٣)

ثم في الكون من حولنا

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾

(الزخرف ١٠ - ١٣)

هذا هو الله الذي خلق لنا الشمس والقمر على نحو يحقق لنا النفع وهيأهما لنا بالقدر الذي تتطلبه حياتنا

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

(يونس ٥)

وإذا أردت أن تعرف الله حق المعرفة فأقرأ هذه الآيات من سورة النمل :

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾

(النمل ٥٩ - ٦٤)

هذا هو الله وحده خالق السموات والأرض ، والمنزل من السماء ماء بقدر لتنبت به الحدائق والأشجار وهو الذي جعل الأرض قرارا ووضع فيها الجبال

رواسي وسَّير خلالها الأنهار ، إنه الله المعبود القادر وغير الله لا يستحق العبادة إذ لا يقدر أحد على فعل شيء إلا بحول الله وقوته .

أنظر إلى الأرض كيف بسطها الله وجعلها مستقرا لمخلوقاته وهيأها لحياة تلك المخلوقات بما تحويه من عناصر وغازات وأنهار ، أنظر كيف ثبتها الله بالجبال الشاهقة وتخيل أوزان تلك الجبال ورسوخها كالأوتاد حتى تستقر الأرض وتظل صالحة للحياة .

هذا هو الله الذي أوجد بين البحار الأرض اليابسة ووضع عليها متطلبات الحياة وبدونها تكون الحياة مستحيلة . يعود العصاة إليه سبحانه بالتوبة والدعاء حتى في أحلك الأوقات ، فيقبلهم في ملكوته ويغفر لهم ويتوب عليهم ويجيب دعواهم بعد أن كانوا في غيِّهم يعمهون .

هذا هو الله الذي كرم الإنسان وجعله خليفة في الأرض دون سائر مخلوقاته ، انظر كيف يقودنا الحكيم القدير ويهدينا إلى الصراط المستقيم في حلنا وترحالنا في البر والبحر ويرسل لنا الرياح نعمة ورحمة ويبسط لنا الرزق منذ الولادة وحتى الممات ، فيخلق في الأرض العناصر اللازمة لحياتنا إذ ينزل من السماء الماء ويثير الهواء ويهب لنا من الشمس الضياء ، فتكون المعادلة :

ماء + هواء + ضياء = حياة وغذاء

وحدة الخلق ووحدانية الخالق

يقول الحق سبحانه وتعالى :

ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

(ال عمران ١٩١)

إن الوصول إلى قدرة الله عز وجل يحتاج إلى النظر في خلق الله ، فهذه الأرض وما فيها من نبات وحيوان وجماد ، وهذه السماء وما فيها من كواكب ومياه وضياء وتعاقب الليل والنهار ، والحياة والموت كلها تحدثنا عن قدرة الخالق العظيم .

يحدثنا العلم اليوم بأن النبات بكل أنواعه أصله من خلية واحدة ، والحيوان بكافة أجناسة وأصنافه أصله من خلية واحدة وكذلك الانسان .

كما أثبت العلم بأن جميع اجزاء وأعضاء مخلوقات الله هي من خلية واحدة دون أي اختلاف ، والخلية الواحدة تركيبها واحد بما تحويه من سيتوبلازم ونواه وأجزاء أخرى اقتضتها طبيعة المخلوقات واحتياجاتها .

حتى النواه في كل المخلوقات هي واحدة وتركيبها واحد بما تحويه من كروموسومات تساوت عدداً وجينات حملت الصفات الوراثية فانفردت كل منها بالبصمة الوراثية وبالقدر الذي يحفظ للمخلوقات انواعها . فتبارك الله أحسن الخالقين .

إن وحدة الخلق وأسلوب الخلق والطريق إلى الحياة وبعدها الممات ، هذا التنظيم الواحد العجيب لا بد وإن موجده واحد ومنسقه واحد ، هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم .

خلق الله تعالى الأرض التي نعيش عليها ونسق بينها وبين كل الأحياء وخلق الشمس والقمر والنجوم حيث نجد في تكوينها وحجومها وأبعادها ودورانها آيات لقدرته سبحانه وتعالى .

وينبهر العلم اليوم من دقة التنسيق بين الأرض وما عليها من المخلوقات ويبين لنا أن الخالق واحد ويثبت لنا أن الذي صمم عين الإنسان بعدستها ومائها هو الذي صمم هذه الشمس وأخرج منها أشعتها ووجهها بقدر معلوم إلى الأرض ، إذ ما فائدة العين دون الضياء وما فائدة الرئتين دون الهواء وما فائدة الأمعاء دون الغذاء .

فإذا كانت السماء وحدة والأرض وحدة وكل الخلق وحدة افلا تدل تلك الحقائق على أن خالقها واحد ؟

الله يتجلى في خلقه

إن نظرة واحدة في هذه الصور الجميلة والألوان البديعة تدلنا حقا على قدرة الخالق العظيم ، الصانع المبدع ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

(الملك ٢ - ٤)

فلا يستطيع البصر إلا أن يقف خاسئا وهو حسير وذلك لضخامة ، هذا المحيط العظيم الذي لا تقف دونه حدود أو قيود فلا تخترقه الأبصار مهما كانت حادة ، فهناك النجوم والكواكب السيارة والمجرات الشاسعة التي تبعد عن الأرض مئات السنين الضوئية وهي خير دليل على ضعف بصر الإنسان على اختراق السماء ومكوناتها .

لقد طلب الله في كتابه العزيز من الإنسان ان ينظر الى نفسه ويتفكر في خلقه ليكون ذلك خير دليل على بديع صنع الله وقدرته ويقوده إلى الإيمان بالله الواحد الأحد .

انظر إلى قوله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

(الانفطار ٦ - ٨)

وتفكر في قول الله سبحانه وتعالى ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾

(فصلت ٥٣)

وهذه بعض ثوابت الحقائق القرآنية العلمية التي تقر بنا من الله عز وجل :

● المعروف أن كل خلية في جسم الانسان تحتوي على ٤٦ كروموسوم (حوامل وراثية) ، أما النطفة الذكرية (الحيوان المنوي) فقد قدر لها العليم الخبير أن تحمل فقط ٢٣ كروموسوم لأن مصيرها أن تتحد مع النطفة المؤنثة (البويضة) التي تحمل هي الأخرى ٢٣ كروموسوم ومن هذا الاتحاد تنتج الخلية الإنسانية الكاملة المكونة من ٤٦ كروموسوم ، وتتحول النطفة بالغذاء السابح في دماء الأم إلى إنسان كامل الخلق كامل التصوير كامل التكوين كامل التركيب .

وبالتفكير العلمي يصل الإنسان إلى أن خالقه وخالق الحيوان وهو في ظلمات الأرحام أو داخل البيضة هو الخبير بما يخلق العليم بما ينشيء البصير بما يصنع وهو الله الواحد القهار .

إن الله الذي قدر للإنسان أن يخرج من بطن أمه ليسعى في الأرض فخلق له العينين ليرى بهما ، وهو الذي قدر له أن يستنشق الهواء وخلق في النطفة وهي في القرار المكين القدرة في ان تعمل للجنين جهازا تنفسيا بالغ الدقة وهو الذي قدر للإنسان أن يحيا على هذه الأرض فخلق له بتنسيق رائع الأجهزة والأعضاء ليتهيأ للحياة ، كل ذلك كان وفق تقدير وتنظيم محكم يشهد بأن صانعه عليم ، حكيم ، رحيم ، واحد ، عظيم .

● يقول الله تعالى

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾

(الزمر ٦)

الآن وبعد أن تقدم علم التشريح أظهر أن الغشاء الذي يحيط بالجنين في بطن أمه ليس غشاء واحدا بل هو أغشية ثلاثة كل منها لا يسمح بنفاذ الضوء أو الماء أو الحرارة وهذا ما يعرفه الأطباء في الوقت الحاضر .

● يقول تعالى :

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾

(القيامة)

أي أن الله القادر على جمع العظام البالية بعد ان تفرقت في الأرض هو قادر على ما هو أكبر وأعقد وأدق وهو تسوية بنان الإنسان على صغرها ولطافتها وضم بعضها الى بعض وإعادة تلك البنان بخطوطها التي يتميز بها كل إنسان عن أخيه الإنسان (البصمة الوراثية) لما فيها من غرابة الوضع ودقة الصنع ولذلك يعتمدون على بصمات الاصابع في تحقيق شخصية الإنسان في هذا العصر ، وما عرف الناس ان إعادة وتسوية البنان هي أصعب كثيرا من جمع العظام إلا في هذا الزمن فما أعظم خلق الله ، وما أروع وأدق كلام الله !!

الفصل الرابع

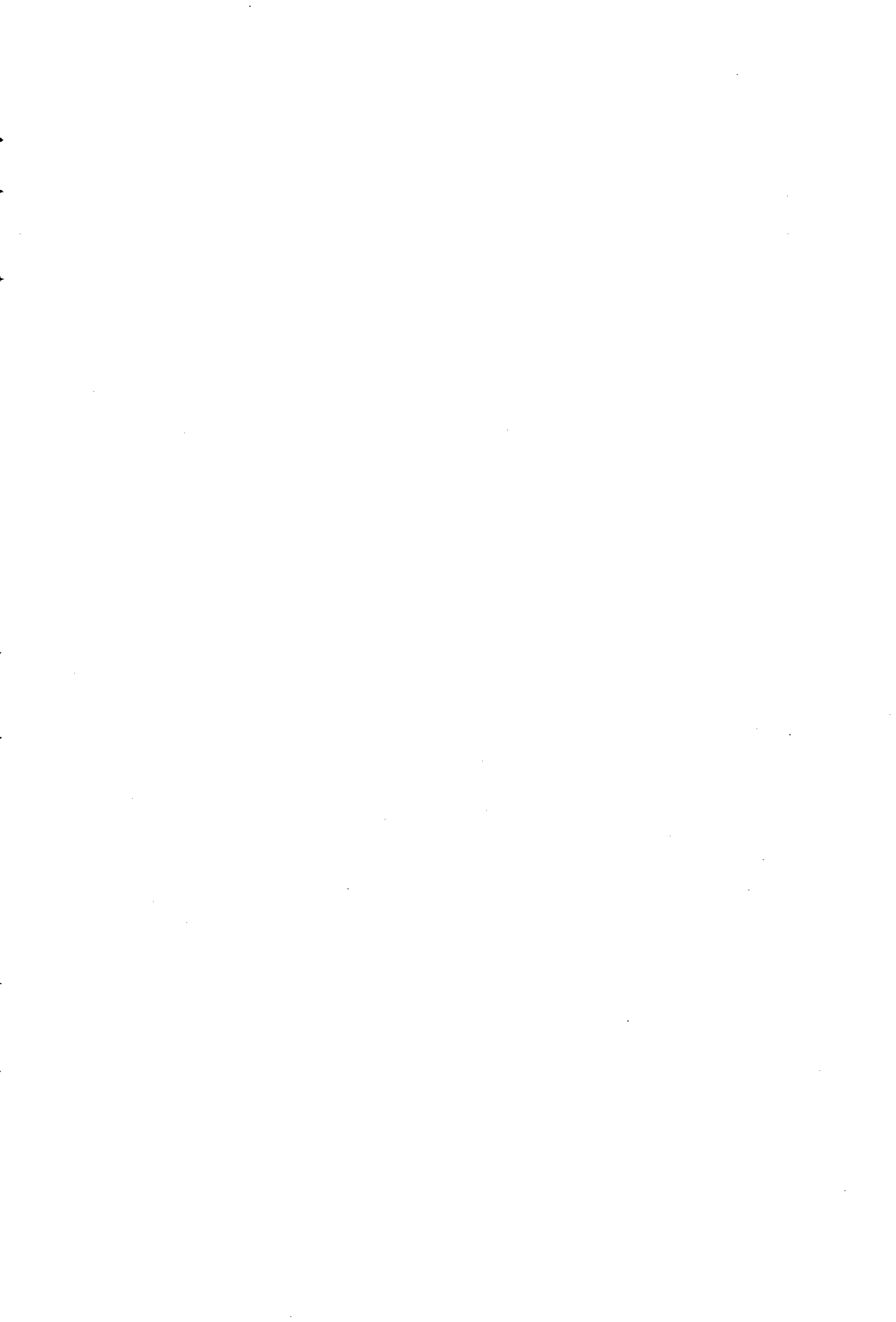
الله
والنظام الكوني

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ

(يونس ١٠١)



الإنسان والنظام الكوني

الحياة من حولنا موجودة منذ العصور الجيولوجية الأولى ، بما فيها من كائنات حية عجيبة لا ترى بالعين المجردة فمنها ذات خلية واحدة كالأميبيا أو ذات ملايين الخلايا من البعوضة حتى تصل إلى الإنسان بما يحويه من خلايا وأنسجة وأعضاء وأجهزة هي غاية في التعقيد ولا زالت مدار بحث للعلماء في سائر أنحاء العالم .

لنقرأ ونتدبر قول الحق تبارك وتعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾

المؤمنون ١٢ - ١٦

إن علم الطب وقف حائراً أمام هذا التفصيل العلمي الدقيق للكيفية ا لتي ينشأ فيها الإنسان ، والتي ذكرها القرآن الكريم قبل اكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان بإعجاز لا زال يحير العلم والعلماء الى وقتنا الحاضر .

النطفة (المني) ← العلقة (الدم المتجمد) ← المضغة (قطعة اللحم - بحجم اللقمة) ← العظام ← اللحم (يكسو العظام) ← خلقا آخر (الروح) .

لم يتمكن العلم أن يتوصل إلى هذا الترتيب الدقيق في خلق الإنسان إلا

لم يتمكن العلم أن يتوصل إلى هذا الترتيب الدقيق في خلق الإنسان إلا حديثاً حيث استطاع علم الأجنة وبالتصوير الشعاعي أن يتعرف على هذا التكوين الإلهي العظيم ، ولم يعرف علم الطب إلا منذ سنوات قليلة بأن العظام تنشأ أولا ثم يكسوها اللحم وقد أعلمنا به القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً ، والعلم لم يتمكن حتى الآن وإلى الأبد أن يصل إلى معرفة الخلق الآخر الذي أنشأه الله ، إن الروح سيبقى علمها عند الله فهي من أمره وحده جل وعلا

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(الإسراء ٨٥)

ثم نتدرج ونحن ننظر إلى الكائنات من الأصغر إلى الأكبر حتى تصل إلى الإبل ونتساءل كيف خلقت ؟ وجاء في القرآن الكريم

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

(الغاشية ١٧)

ونتطلع إلى السماء ونتساءل كيف رفعت بلا عمد وفيها النجوم التي لا تحصى عدداً ، وبعضها أكبر من حجم الأرض بملايين المرات وهي في مواقعها تبعد عنا ملايين السنوات الضوئية وأقربها إلينا على بعد ٧٠٠ ألف سنة ضوئية ، وكذلك تبعد عن بعضها البعض مئات الالاف أو ملايين السنوات الضوئية وذلك فإن ضوء بعضها يصلنا بعد مئات السنين وتكون قدغيرت مكانها أو انفجرت وبالتالي فنحن لا نرى من النجوم إلا مواقعها ، ومن هنا يتبين لنا الإعجاز القرآني متمثلا في القسم الرباني العظيم :

۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(الواقعة ٧٥ - ٧٦)

هذه النجوم التي تسبح في هذا الكون اللامحدود والذي تعجز قدرات الإنسان وعقله أن تحيط بمكنوناته ، والأعجب من ذلك أن تلك النجوم تسبح وفق نظام دقيق لا يحيد عنه قيد أنملة فهي جزء من النظام العظيم الذي أبدعه الخالق أيما إبداع وقدره أحسن تقدير وهداه لكي يكون منضبطا بقانون أوجده العليم الخبير فليس للصدفة أي تأثير في وجوده ولا يمكن أن يكون موجودا من تلقاء نفسه . لنتفكر في قول الحق تبارك وتعالى في سورة يس :

وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

(يس ٣٨ - ٤٠)

وتدبر في قول الحق سبحانه وتعالى :

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى

(لقمان ٢٩)

كان العلماء المسلمون حتى وقت قريب لا يستطيعون اقناع أولئك الذي أرادوا التشكيك بالقرآن والنيل من الإسلام حيث كانت المعلومات التي ينقلها الفلكيون في ذلك الحين تقول بأن الشمس ثابتة لا تتحرك ، ولم يجد العلماء المسلمون ما يعينهم على تفسير تلك الآيات والرد على افتراءات المستشرقين والقاصدين الإساءة للإسلام والقرآن . أما الآن فقد ثبت حديثا لدى علماء الجيولوجيا والفلك بأن الشمس في الحقيقة تدور حول نفسها مرة واحدة كل شهر وبسرعة (٦٠٠٠٠٠) ميل في الساعة بالاضافة إلى حركتها الأخرى مع باقي المجموعة الشمسية ، وكذلك القمر يجري والأرض تجري لتكوين الفصول الاربعة وتشكيل الليل والنهار وصدق الله القائل :

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى

(لقمان ٢٩)

أما حركتها الأخرى التي تسبح فيها مع غيرها من الكواكب في هذا الكون الفسيح فقد أشار إليها الخالق العظيم سبحانه وتعالى في قوله

وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (يس ٤٠)

إن الشمس التي هي مصدر الحياة في هذا الكون تبعد عنا حوالي ٩٣ مليون ميل وتبلغ درجة الحرارة على سطحها ١٢٠٠٠ درجة فهرنهيت . إن المسافة بيننا وبين الشمس ودرجة حرارة سطح الشمس مصممة ومهيأة بدقة لتعطينا الدفء اللازم للحياة وتمد كل المخلوقات من نبات وحيوان وجماد بحاجته من الحرارة اللازمة ، ليظل هذا الكون بمخلوقاته التي لا تعد ولا تحصى صالحاً للحياة التي أرادها الله وكرم بها بني آدم فقال سبحانه وتعالى :

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ

(الاسراء ٧٠)

يكفي أن نعلم ان الشمس لو بعدت عن الأرض قليلا لتعذرت الحياة على الأرض وأصبح كل ما عليها في درجة التجمد وفقد الهواء خواصه الحياتية ، وبالمقابل لو كانت الشمس أقرب إلى الأرض قليلا فإن ذلك يعني ارتفاع درجة الحرارة على الأرض لتحرق ما عليها .

والمعروف علميا بأن الأرض تدور حول محورها مرة واحدة في اليوم (٢٤ ساعة) أي بمعدل (١٠٠٠ ميل في الساعة) ولو فرضنا أن سرعة الدوران هذه كانت ١٠٠ ميل فقط في الساعة ، عندئذ يكون كل من الليل والنهار عندنا أطول مما هو عليه الآن عشرة أضعاف وهذا يعني استحالة الحياة حيث تحترق النباتات ويموت الحيوان والإنسان من الحرارة المرتفعة في النهار الطويل جدا ،

وفي الليل الطويل جدا حيث يتجمد النبات والأحياء على وجه الأرض . كما أن التركيب الكيميائي للهواء وكافة المخلوقات على سطح الأرض يكون غير صالح للحياة .

هذا فضلاً عن أن القرب والبعد بين سائر النجوم والكواكب والمجرات ، قدره الله بحكمة بالغة والا سيضطرب كل ما في الكون وتستحيل الحياة فيه .

كما أن حياتنا تصبح مستحيلة لو أصبح معدل دوران الأرض حول الشمس عشرة أميال أو ثلاثين ميلا في الثانية بدل المعدل الحالي وهو ٨١ ميلاً في الثانية بسبب تغير قربنا من الشمس .

من قدر هذا النظام المتفوق ؟ من جاء بهذا البعد المثالي للشمس والقمر؟ من أوجد هذا الكون الفسيح بما يحويه من نجوم وكواكب ومجرات بأبعادها المثالية الصالحة لبقاء الكون ومافيه من مخلوقات ؟

من قدر سرعة الدوران المثالية ؟ من أبدع كل هذه الموجودات ؟

لقد جاء هذا النظام بدقة تجعلنا نستطيع أن نقدر ما يجري في كل جزء من هذا الكون ، وبلغ هذا النظام من التوازن إلى درجة الكمال كل ذلك بقانون محكم ، ليس للصدفة قدرة على خلق هذا النظام الأمثل ، إن كل المخلوقات حقا تسير وتتحرك بموجب نظام إلهي بديع لا يشذ عنه أي كوكب أو نجم من الكواكب والنجوم فلا يخرج عن مساره ، ولا يزوغ عن مداره ، سرعته مقدره ، وكتلته ثابتة .

فالله جل وعلا خلق كل شيء بقدر واوجد هذا الترابط العظيم بين كافة المخلوقات بمعادلات فوقية بقي معظمها لغزاً يحير العلماء ويشغل تفكيرهم فيوقتنا الحاضر الى ان تقوم الساعة ويرد الله الارض وما عليها .

الماء والنظام الكوني(*)

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

(الأنبياء ٣٠)

كثير من العلماء على مدى عدة قرون دأبوا على دراسة الخواص العجيبة للماء ، ووضعوا النظريات الكثيرة لتعليل ظواهره وحالاته المختلفة ، فالماء يغطي ثلاثة أرباع المعمورة ، ويؤثر تأثيرا هاما على درجات الحرارة والأجواء السائدة كما يؤثر بشكل عام على البيئة في الأرض والجو والبحر .

للماء درجة تبخر مرتفعة ويبقى سائلا فترة طويلة لأن حرارة التصعيد التي تحوله إلى الحالة الغازية مرتفعة .

إن صفات الماء وحالاته المختلفة تجعل الحياة للإنسان على سطح الأرض ممكنة من حيث الحرارة والرطوبة والتركيب الهوائي .

ونعلم أن الماء هو المادة الوحيدة التي تقل كثافتها عندما تتجمد ، وبسبب هذه الخاصية يطفو الجليد على سطح الماء ، وبخاصة عندما تصل درجة حرارته دون الصفر المئوي ولا ينزل إلى قاع البحار والمحيطات والأنهار التي تحتفظ دائماً بدرجة حرارة دافئة هي (+ ٤ مئوية) ويشكل هذا الجليد الذي يطفو على سطح الماء عازلا يمنع البرودة من التسرب إلى أسفل حيث يبقى الماء تحت طبقة الجليد في درجة حرارة فوق درجة التجمد ، وهذه الخاصية العظيمة تبقي الحيوانات البحرية والنهرية والأسماك والنباتات حية ، كما تسهل ذوبان الجليد عند ارتفاع درجات الحرارة .

(*) انظر صفحة ١٠٩ من هذا الكتاب (في الماء ترى الحقيقة الكبرى) .

بقليل من التفكير يمكن للإنسان العاقل أن يتوصل إلى أن خواص الماء وظواهره لم تأت مصادفة كما أنها ليست من صنع البشر ولم توجِد بنفسها تلك الخواص والحالات . إن هناك الكثير من المواد التي لا تحصى لها خواص تعجز عقولنا البشرية المحدودة عن إدراكها ونقف أمامها مبهورين مشدوهين لا نجد لها تفسيراً إلا أنها من لدن حكيم خبير ، خالق قادر عليم ، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . إنه الله القائل سبحانه :

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

(الطور ٣٥ - ٣٦)

ولعل في بيان القرآن الكريم لكيفية نزول الماء والتدرج في دورته من حيث تكوينه إلى نزوله ، وعودته مرة أخرى إلى الأرض علم رائع يعتبر الأساس لعلوم المياه والبيئة في أيامنا الحاضرة .

وورد ذلك في قول الحق سبحانه وتعالى :

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ

(الحجر ٢٢)

نعرف أن الأمطار تنزل من السماء ، وهي تتكون من البخار الذي يصعد إلى السماء بتأثير حرارة الشمس ، وحسب المعادلة التالية :

المياه على سطح الأرض ← سحاب ← رياح ← تلقيح ← توزيع ← مطر .

ولنتفكر في قول الحق سبحانه وتعالى في سورة النازعات

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

(النازعات ٢٧ - ٣٣)

دعونا نتوقف قليلا لنتفكر في قول الله تبارك وتعالى

وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ

كلمة (دحاها) تعبير إعجازي دقيق يعني بسطها وكورها لتصبح كالدحية أي بيضوية الشكل وهذه حقيقة علمية لم يعرفها الناس إلا حديثا ، وهذا لا يتعارض مع تسطح الأرض في ظاهرها لتكون أسهل لمعيشة الإنسان وسائر الكائنات التي أراد الله أن تكون على سطحها في جميع أشكالها وأحجامها .

وفي تفسير آخر لكلمة (دحاها) إشارة إلى أن خلق الأرض تم على مراحل منها مرحلة (الدحو) وفي تلك المرحلة حصلت ثورات بركانية كبيرة جداً أخرجت الغاز وبخار الماء من باطن الأرض وأنواع كثيرة من مواد صلبة وبذلك كان التكوين الأول للمياه والغازات والقشرة الأرضية ، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث بأن أصل الماء الأول قد جاء من باطن الأرض ، وأنا أميل إلى هذا التفسير العلمي الذي ذكره الدكتور زغلول النجار وأيده سؤال طرح على ابن عباس رضي الله عنهما :

ما معنى دحاها ؟ قال : فسرها ما جاء بعدها أي ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ ، والمرعى لا ينشأ إلا بالماء الذي أخرجه الله من باطن الأرض والغازات الأخرى التي خرجت أولاً من باطن الأرض مثل ثاني أكسيد الكربون وبعض أكاسيد النيتروجين وهي غازات لازمة لنمو النبات مع ما في الأرض من

أملاح ومعادن ومياه وما يأتيها من أشعة الشمس .

فالقرآن يعبر عن ذلك تعبيراً دقيقاً في قوله تعالى :

وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾

(النازعات ٣٠ - ٣١)

وقد جعل الله في الأرض أوتادا هي الجبال التي أثبت علم الجيولوجيا في عصرنا الحديث أنها تثبت الأرض كالأوتاد تماما فهي منغرسة في الأرض كما ينغرس الوتد ، فإذا حفرت أسفل الجبل وجدته نافذاً في الأرض لعدة أمتار بما يتناسب وارتفاع الجبل فوق سطح الأرض وصدق الله العظيم القائل

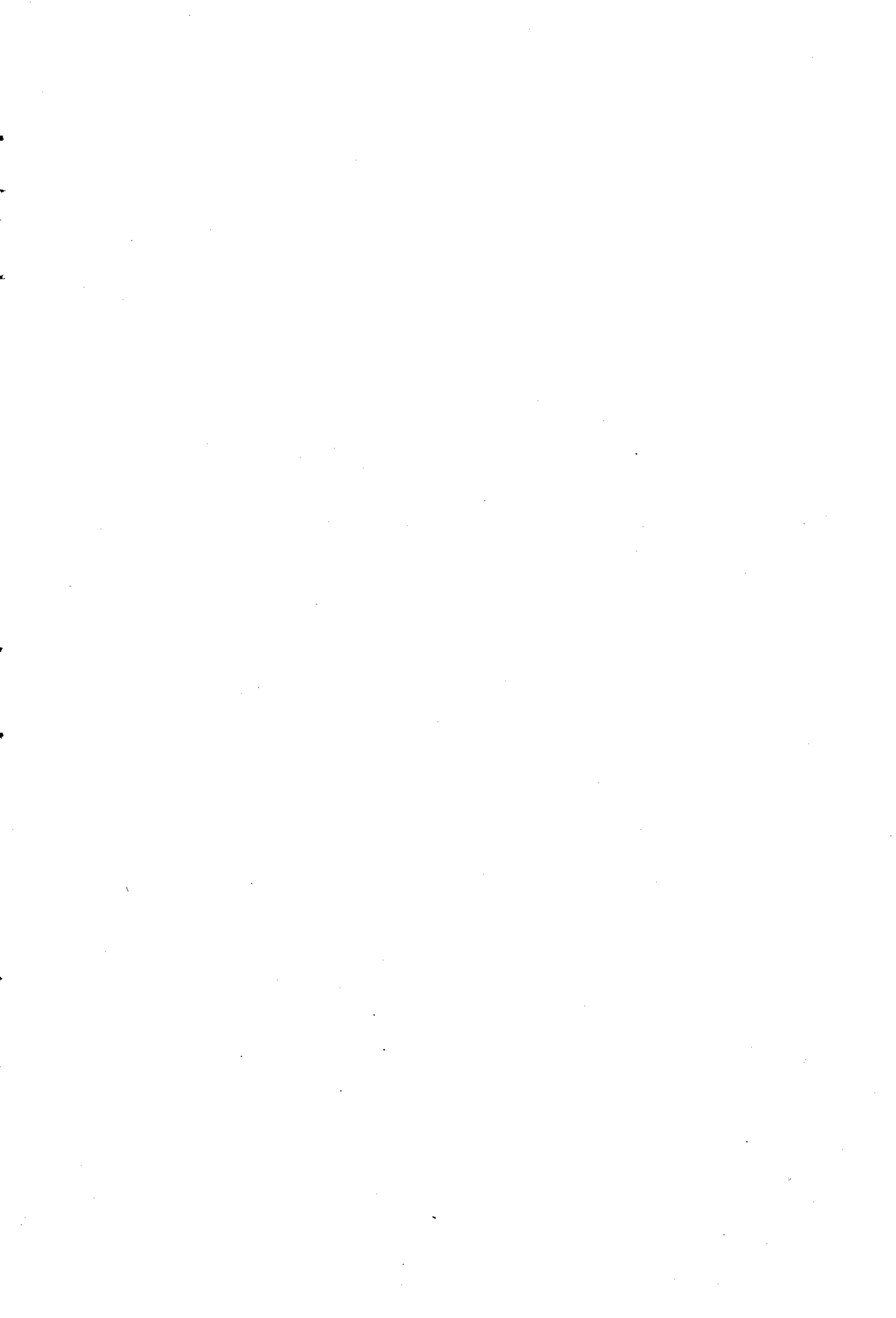
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾

(النبأ ٦ - ٧)

وتفكروا في قوله تبارك وتعالى في سورة الغاشية :

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

(الغاشية ١٧ - ٢٠)



الفصل الخامس

الله والعلم والإيمان

في الآيات القرآنية الكريمة

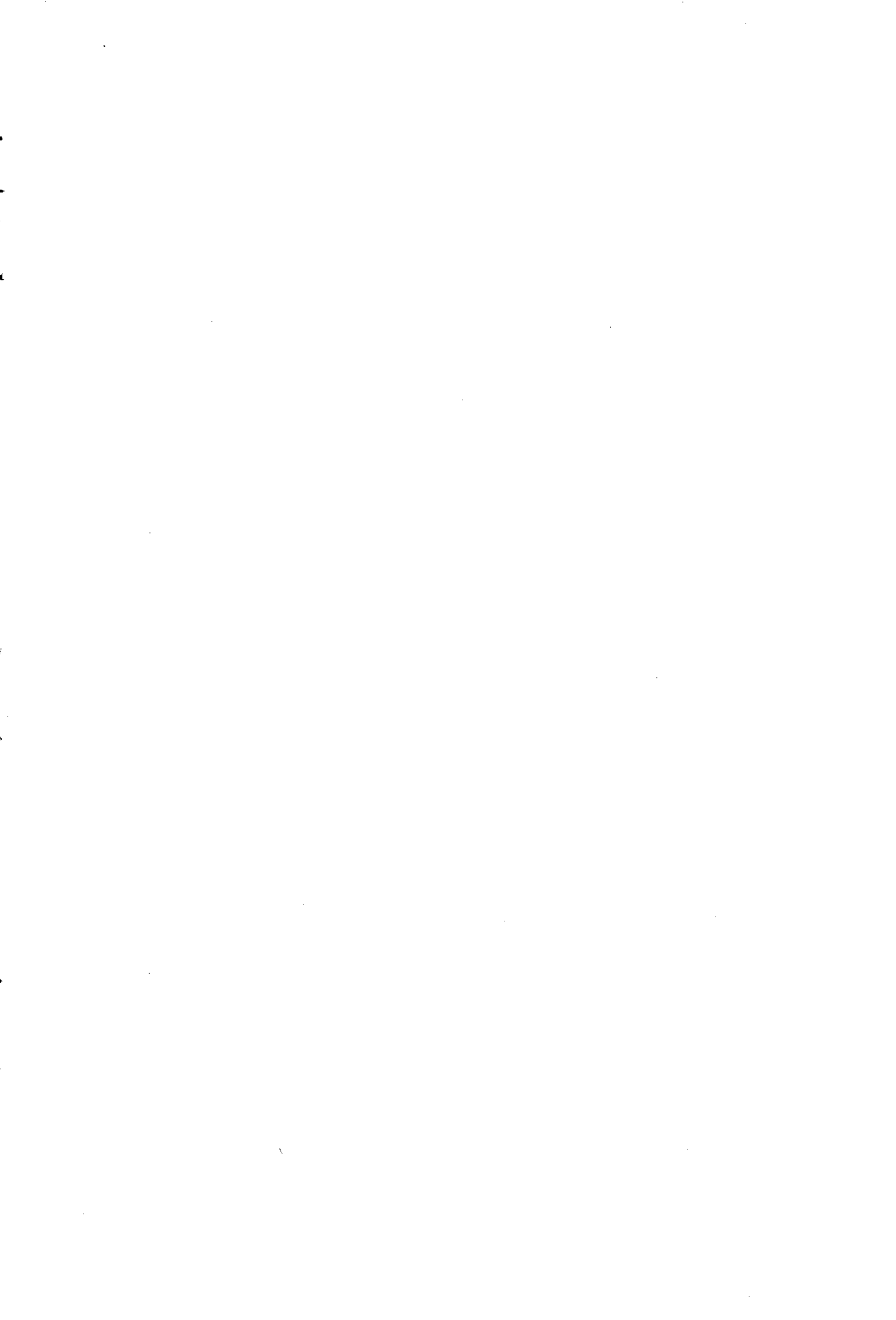
(مختـــارات)

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

(آل عمـران ١٩١)

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا

(الإسراء ٨٥)



العقل يدعو للإيمان

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ (النمل ٥ - ٦)

ويقول تعالى

وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ (الحج ٧٢ - ٧٣)

إن الذين ضلوا السبيل إلى الله احد اثنين : رجل حرم نعمة العقل ولم يؤت حظا من الفهم والإدراك فهو والسائمة سواء ، لا يلتفت إلى جمال خلق الله ولا يعرف أن الله خلق فسوى ، وقدر فهدى ، فضلَّ عن سبيل الله وانحدر إلى الدرك الأسفل من الفهم ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ .

ورجل خدعه ذكاؤه وغره علمه وخيل إليه أنه قادر على أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا فأخذه بالله الغرور وتكبر على الله عز وجل وتاه في الضلال فكان أشبه بالفراش غرق في النور فاحترق بالنار .

ما أروع أن نصل إلى الله عن طريق العقل ونكشف ما يمكن كشفه بالعلم

والمعرفة من أسرار هذا الكون وعجائبه وما أروع الإنسان كلما تكشفت له حقيقة من حقائق خلق الله هتف مسرورا من الأعماق : سبحان الخالق المبدع .

الأنسان يعرف في أعماقه أنه مهما بلغ من العقل والقوة فلن يستطيع أن يحيط بشيء من علم الله وهذا الإنسان هو المؤمن القوي بعلمه وإيمانه هو الذي وصفه الرسول الكريم في الحديث الشريف «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» .

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (آل عمران ١٨)

إننا بالتأكيد لا نستطيع أن نحيط بموضوع العلم والإيمان بل إن كل ما نستطيع قوله هو أن الله سبحانه وتعالى أكرمنا بالقرآن الكريم الذي هو أكبر معجزات الرسول ﷺ وأخلدها ، وليس أخلد على الأرض من كتاب يتلى ، وليس أبقى عليها ولا أنفع للناس فيها من كتاب فيه دواء لقلوب المرضى والبائسين ، وسكن لنفوس الحيارى والمحرومين ، وأمل ورجاء للبشر أجمعين ، فيه شفاء للناس وهدى ورحمة للعالمين ، وغذاء للروح والعقل لكل من أخلص النية لله وتقرب إليه بالعمل .

في أول الأمر أعجز القرآن العرب بفصاحته وبلاغته وحكمته وتنبؤاته التي تحققت ، وكلما تقدم العلم وزادت المعرفة ظهر القرآن بمعجزة أروع ، فأعجازه لا يقف عند حد ولعمري فتلك صفة المعجزة الكبرى الخالدة !

وفي عصرنا هذا عصر الإعجاز العلمي نرى القرآن يصف لنا بعض حقائق الوجود العلمية بل ويتنبأ في المستقبل بدقة علمية وسلاسة لفظية لا مثيل لها في كتاب من الكتب .

القرآن والعلم والإيمان

● تفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾

(الروم ٤٨)

وها نحن اليوم بعد أكثر من ١٤٠٠ عام نتعلم في علم الأرصاد أن الأصل في إثارة السحب ونزول المطر منها هو إرسال الرياح لتتجمع في صعيد واحد ، وهذه حقيقة علمية يُعتمد عليها في هذا العصر .

● وتفكر في قول الله تبارك وتعالى :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الانعام ١٢٥)

فقد أصبح معروفا ونتيجة للتجارب العلمية أنه إن طار الإنسان وحلق في الجو على ارتفاعات مختلفة فانه في صعوده وتعرضه لطبقات الجو العليا يشعر حتما بضيق الصدر وقد تصل الحالة إلى درجة الاختناق في الأبعاد التي تقل فيها كمية الأوكسجين ، وينقص الضغط الجوي بسبب النقص في ارتفاع عمود الهواء .

● وتفكر في قول الله تبارك وتعالى :

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(الواقعة ٧٥ - ٧٦)

واليوم يقول لنا علماء الفلك بأن المسافات بين مواقع النجوم تبلغ حد الخيال وهي جديرة بأن يقسم بها الخالق لعظمتها واستحالة ادراكها من قبل الإنسان .

اذن فمواقع النجوم شيء عظيم جدا بدلالة القسم بها مع تعظيم القسم وتوكيده بثلاث ادوات : أنَّ واللام وقوله تعالى ﴿لو تعلمون﴾ التي يفهم منها :

زيادة في تأكيد عظمة مواقع النجوم ثم بيان جهل الناس بمواقع النجوم والمسافات بينها وحجومها ومواصفاتها بالإضافة إلى أن الله سبحانه وتعالى يدعو للتفكر في خلق هذا الكون العظيم والاستدلال على عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

ان ابعاد الكواكب والنجوم عن الأرض هي مسافات شاسعة واحيانا خيالية ، فيبعد القمر عنا حوالي (٤٠٠) الف كيلومتر وتبعد الشمس حوالي (١٥٠) مليون كيلومتر وكوكب بلوتو يبعد عن الشمس حوالي ٥ - ٦ مليار كيلومتر ، وحتى هذه المسافات تصبح ضئيلة جدا وبلا جدوى اذا خرجنا من نطاق مجموعتنا الشمسية حيث يبعد نجم (قنطورس) عنا حوالي ٤ ١/٣ سنة ضوئية وهو أقرب نجم إلى شمسنا ، كما ان عددا محدودا جدا من النجوم تنقص ابعادها عنا عن ١٠ سنوات ضوئية بينما تبعد الاخرى مئات السنين الضوئية وآلافها وملايينها بل وملياراتها .

ولعل من المفيد أن نذكر ان السنة الضوئية الواحدة هي المسافة التي يقطعها

الضوء في سنة واحدة وهي تساوي حوالي ٩,٥ ترليون كيلو متر والترليون يساوي ١٠٠٠ مليار كيلومتر أي ان السنة الضوئية تساوي عشرة ملايين الملايين من الكيلومترات هذا بافتراض ان سرعة الضوء هي ٣٠٠,٠٠٠ كم/ث .

هذه مواقع النجوم وهذه عظمتها ، ألا تدلنا على عظمة هذا القرآن ، وعظمة الخالق سبحانه وتعالى .

ويقول الفلكيون اليوم بأن الشمس تدور حول مركز المجرة بسرعة ٢٢٠ كم/ث فهي تتحرك ولا نراها انما نرى موقعاً كانت فيه ، ويقولون ان اقرب نجم الينا بعد الشمس يبعدعنا ٤,٣ سنة ضوئية ، والضوء الذي يخرج منه يصلنا بعد اكثر من خمسين شهراً حيث يكون هذا النجم قدابتعدعن مكانه مسافات شاسعة ، والنجوم الأبعد يصلنا الضوء منها بعد عشرات السنين او مئاتها بل اكثر من ذلك بكثير وتكون بذلك قد تحركت من مكانها كثيراً أي اننا لا نرى الا مواقعها ، والعلم حديثاً يخبرنا بان هناك نحوم كثيرة نرى مواقعها في السماء وهي غير موجودة في الحقيقة حيث انها تكون قدانفجرت منذ آلاف السنين ولا وجود لها ، انما هي مواقعها فقط ، ومن هنا كان الإعجاز العلمي الكبير رالقسم الرباني العظيم بمواقع النجوم .

وهل يمكن لإنسان مهما بلغ من العلم أن يعرف هذا ويقوله قبل اكثر من أربعة عشر قرنا .

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾
(الواقعة ٧٥ - ٧٦)

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادًا (النبأ ٧)

فالوتد يغرس في الأرض لتثبت به الخيام ، وهكذا تأكد الباحثون في علم الجيولوجيا عام ١٩٦٥ بأنه يوجد جزء من الجبل مغروس في الأرض يساوي أحيانا ارتفاع الجبل نفسه وأحيانا يزيد ، وهذا يثبت الأرض والقارات بالجزء المغروس في الطبقة اللزجة التي تقع تحت الطبقة الصخرية ، ولنعلم أنه لولا أن الله خلق الجبال بشكل أوتاد لطافت القارات ومادت الأرض واضطربت تحت أقدامنا والله يذكر لنا هذه الحقيقة العلمية في القرآن الكريم :

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

(النحل ١٥)

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ

(الحجر ٢٢)

إن علم الأرصاد الحديث يخبرنا بعد مضي اكثر من اربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم بأن الرياح تثير الغبار وتحمل معها أجزاء صغيرة من ذرات التراب والغبار وتثير بخار الماء ليتجمع حول هذه الجزيئات الدقيقة مكونة أغلفة مائية تنمو وتكبر مكونة قطرات تنزل على الأرض مطراً بإذن الله .

ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ

(الروم ٤٨)

● وتفكر في قول الخالق العظيم

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ

(النجم ٤٥ - ٤٦)

لقد أثبت العلم حديثا بأن السبب في ولاده الذكر والأنثى هو الرجل وبالتحديد الكروموسوم (Y) الذي يأتي مع الماء الدافق للرجل (المني الذي يحمل الكروموسوم (Y)) ولو فكر علماء الطب في ما جاء به القرآن الكريم لعرفوا ذلك منذ زمن بعيد .

● وتفكر في قول الخالق العظيم ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ (المؤمنون ١٤)

لما تقدم علم الأجنة في الوقت الحاضر عرف الأطباء أن الأصول الأولى للعظام تسبق في تكوينها الأصول الأولى للعضلات (اللحم) وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقول بسيط رائع :

فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا

هكذا أخبرنا القرآن الكريم قبل اكثر من ألف وأربعمائة عام بأن تكوين العظام يسبق تكوين اللحم .

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا

(نوح ١٦)

وقوله تبارك وتعالى :

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (الفرقان ٦١)

إن هذه الآيات القرآنية تعلمنا بأن الشمس سراجا وهاجا مضيئا ، وأما القمر فلا تصفه بأنه سراج إنما تصفه بأنه منير ونور ، لقد أثبت التقدم العلمي الآن أن ضوء الشمس من ذاتها ، فهي السراج وأما القمر فليس ضوءه من ذاته ، انما هو مستمد من ضوء الشمس الذي نشأ من احتراق غاز الهيدروجين وتحوله إلى هيليوم ففي كل ثانية يحترق (٦٠٠,٠٠٠) طن من الهيدروجين لتمدنا بالطاقة اللازمة لحياتنا .

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
(النحل ٨)

لقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى أن هناك أشياء أخرى سيخلقها ليركبها الإنسان ويتزين بها ، في حينه والناس لا يعلمونها .

وها هي وسائل النقل العديدة من سيارات وبواخر وطائرات ووسائل اتصال متعددة كالهواتف والانترنت والفيديو والفاكس والتلفاز والهواتف النقالة والاتصالات عن بعد إلى غير ذلك ولا ندري ماذا يأتي بعد ، فالله سبحانه وتعالى يقول وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾
(النور ٤٠)

كشف العلم الحديث أن في داخل البحار والمحيطات العميقة أمواج أخرى غير الأمواج السطحية هي أكبر منها وأعرض وأطول كما أن أعماق البحار والمحيطات ظلمات حالكة .

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ

(الزمر ٥)

إننا اليوم نقول استنادا إلى احدث النظريات العلمية بأن الأرض كروية بيضاوية ، وفيها الليل والنهار كل في أحد نصفي الكرة وهما يتعاقبان على الأرض بدقة متناهية بفضل دورانها الكروي بسرعة ثابتة وتناسق منظم مع دوران الكواكب الأخرى ذات العلاقة .

وقد وردت تلك الحقائق في القرآن الكريم بقوله تعالى

يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ

(الزمر ٥)

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ

(يس ٣٩)

عرف العلم حديثا بعد أن صعد رواد الفضاء إلى القمر بأنه لا حياة على القمر ولا يوجد فيه ماء أو نبات ولا أثر فيه لما نراه على الأرض من اخضرار وحياة وهذا ما قاله القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرنا .

وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ

(يس ٣٩)

والعرجون هو فرع النخل القديم اليابس الذي لا حياة فيه .

● وتفكر في قول االحق تبارك وتعالى :

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ

(الذاريات ٧)

فها هو العلم الحديث يقول لنا بأن في السماء طرقاً ومواصلات واتصالات وسبلاً ومسارات ، والآن تسلكها وسائل النقل الجوي وأصبحت علما قائما بذاته ، كما أن الفضاء كله فيه من المسارات ما يجعل الصواريخ والمراكب الفضائية تسلكها ، بعد أن تمكن الإنسان من امتلاك العلم والقوة التي سهلت له هذه الطرق . كما كشف العلم الحديث عن مسارات وطرق تسير خلالها النجوم في أثناء دورانها بانتظام دون أن تصطدم مع بعضها البعض ودون تعرض للدمار والخراب . ويقول لنا القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرنا :

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ

(الذاريات ٧)

ومعنى الحبك في اللغة المسارات والسبل

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

(الزمر ٢١)

انظر كيف يشرح لنا القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا دورة المياه الجوفية من السماء إلى سطح الأرض ثم إلى جوفها في خزانات صنعها الله خصيصا حتى لا تغور المياه في باطن الأرض ثم أخرجها في نوافير وينابيع لتعود إلى سطح الأرض وتسير في جداول وأنهار قدرها الله تقديرا :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ

(الزمر ٢١)

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾

(العلق ١٥ - ١٦)

حتى وقت قريب كنت لا أستطيع أن أجد تفسيرا لقوله تعالى : ﴿لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة﴾ مع معرفتي بأن كلمة الناصية تعني مقدمة الرأس وما فوق جبهة الإنسان ، والآن يؤكد العلماء بأن العلم حديثاً قد كشف أن في مقدمة الرأس جزء الدماغ الخاص بصنع القرارات وتوجيه ارادة الانسان ، وهذا ما يفسر الآية الكريمة تفسير مقنعا ويدل على سبق القرآن في كشف مكنونات الدماغ ووظائفة .

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ

(الذاريات ٤٧)

يقرر علم الفلك الحديث بان السماء لا زالت في اتساع دائم . فهي تتمدد باستمرار وتتباعد نجومها تبعاً لذلك .

والمراد هنا بكلمة السماء هو السموات كلها وهي (الكون) ومعنى كلمة (لموسعون) اي الاستمرار في التوسع ، وهذا دلالة على أن الكون آخذ في التوسع .

وحديثاً تأكد علميا بأن الضوء الآتي من النجوم البعيدة يتغير لونه من المائل للاصفرار ثم المائل للزرقة فالمائل للاحمرار حسب البعد عن الأرض ، وقد ثبت هذا الاكتشاف بعد اختراع التلسكوب العلمي الهائل بواسطة العالم هاقل والذي لا حظ فيه أن مراقبة النجوم تثبت التباعد في مواقعها وان النجوم تتحول الى اللون المائل للاحمرار مع الزمن دلالة على ابتعاد تلك النجوم بفضل توسع الكون .

وقد لاحظ هذا العالم أن النجم الأقرب يصدر ضوءا مائلا للاصفرار ثم إلى الزرقة والأبعد يتحول إلى اللون الأزرق فالاحمر طرديا مع ابتعاد النجوم وتوسع الكون .

- وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾
(الفرقان ٥٣)

أن هذه الآية الكريمة تتعلق بموضوع عرفناه حديثا يطلق عليه اسم الشد السطحي (Surface Tension) وهي الظاهرة التي تتكون بين طبقتي الماء المالح والماء الحلو . وتنطلق هذه الظاهرة الطبقية عند مصب نهر ماؤه عذب في بحر مالح حيث أن ظاهرة الشد السطحي تجعل بين كل طبقة حاجزاً وتحتفظ كل طبقة بمواصفاتها ولهذا يقول تعالى ﴿ وجعل بينهما برزخا ﴾ فهل كان النبي ﷺ يعلم عن ظاهرة الشد السطحي قبل اربعة عشر قرنا ! .

- وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

(العنكبوت ٤١)

ان القراءة المتأنية لهذه الآية الكريمة تبين اعجازاً علمياً دقيقاً * :

١ - لاحظ أن القرآن الكريم اختار صفة التأنيث في كلمة اتخذت بيتاً وقد كشف العلم الحديث مؤخراً ان انثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر وهذه الحقيقة البيولوجية العلمية لم تكن معروفة أيام الرسول الكريم ﷺ .

٢ - وصف الله تعالى بيت العنكبوت بانه أوهن البيوت ولم يذكر خيوط هذا البيت او نسيجه وقد كشف العلم حديثاً ان خيوط بيت العنكبوت أقوى من مثيلاتها من الصلب بثلاث مرات ، فيكون نسيج بيت العنكبوت قوياً وخيوط بيت العنكبوت متينة كالحديد .

لماذا اذن يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾

ان هناك سراً بيولوجياً كشف عنه العلم مؤخراً اذ ثبت ان بيت العنكبوت ابعد البيوت عن صفة البيت بما يلزمه من أمن وأمان وسكينة وهدوء : فالانثى فيه تقتل الذكر بعد التلقيح ، والعناكب الصغيرة تقتل بعضها عندما تفقس وتخرج من البيض ، كما ان البيت نفسه يكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة تقترب منه ، فهو ليس بيتاً بل مذبحة يخيم عليها الخوف والترصد .

---

* المهندس رائف نجم / الاعجاز العلمي في القرآن الكريم .

انه أوهن البيوت لمن يحاول ان يتخذ منه ملجأً ، وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معيناً ونصيراً .

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (العنكبوت ٤١)

قمة في دقة واسرار العلم لم يكن معروفاً في عهد الرسول ﷺ ولم يتوصل اليه العلم الا مؤخراً .

آمنت بالله العلي العظيم وآمنت برسوله الامي الصادق الأمين .

- وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ

في هذه الأيام وبعد أكثر من ١٤٠٠ عام يقرر العلم الحديث بأن أعصاب الإحساس بالحرارة والبرودة لا توجد إلا في الجلد فقط ، فإذا دخل الكافر النار يوم القيامة وأكلت النار جلده يتوقف إحساسه بالألم وبذلك يقول الذين كفروا : إن النار التي تخيفونا بها تأكل جلدنا ثم نرتاح ولا نحس بالألم بعدها . لذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يقول « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » ، للدلالة على استمرار العذاب ، فهل كان محمد ﷺ يعلم في التركيب التشريحي للجلد أم إنه من عند الله العليم الخبير ؟ آمنت بالله ربي ولا أشرك بربي أحدا .

● وتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ سُورَةُ مُحَمَّدٍ

يقول الأطباء اليوم بأن الأمعاء لا تحتوي على أعصاب للإحساس بالحرار
أو البرودة ، لذلك فإن الماء الحميم إذا نزل في الأمعاء فإنه لا يسبب ألماً لأولئك
الخالدين في النار إلا أن تقطيع الأمعاء بسبب خروج ما بها إلى الأحشاء وهذا يؤدي
إلي أشد أنواع الآلام في الجسم ويحس المريض وكأنه يطعن بالسكاكين داخ
بطنه . إن التركيب التشريحي للأمعاء وعدم وجود أعصاب الإحساس بها لم يعرف
إلا في السنوات الأخيرة .

وهذا يدل على أن هذا الوصف العلمي الرائع لا يكون إلا من عند الخال
العليم الخبير .

ومع كل هذا ، فلا يجوز لنا أن ندعي بأن القرآن الكريم هو مرجع علمي
بالمعنى المعروف وأن فيه ما يفسر لنا كل ظاهرة علمية واكتشاف علمي خشية ا
ينتهز الملحدون والكافرون الفرصة ليقولوا هذا كشف جديد لم يذكر في القرآن م
يؤيده أو يثبته .

أما الرد على هؤلاء وهؤلاء فقد جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿و
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء﴾ .

فالعلم عند الله معروف ومعلوم بلا حدود ولكن الله يعطينا منه ويطلع
عليه بالقدر الذي يشاء وفي الوقت الذي يشاء .

ولكني اتساءل كيف استطاع رجل منذ اكثر من ١٤٠٠ عام أن يأتي بمثل هذه الحقائق الرائعة ، فهل كان صاحب تلك الرسالة ، ذلك النبي الأمي عالما في الفلك وعالما في الجيولوجيا وعالما في الفيزياء وعالما في الطب . الحق أقول بأنه لا سبيل إلى الجدال وليس امامنا الا التسليم بأنه وحي يوحى اليه من عند الخالق العظيم ، والآن فليس امام المكابر من سبيل وليس وراء هذا الوجود من غاية غير الله تعالى ، وكل شيء فيه يسعى إلى الله القدير ويسبح بحمده ولكن الانسان كان اكثر جدلاً .

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ (يس ٧٨ - ٧٩)

الفصل السادس

الله والعلم والإيمان

في الأحاديث النبوية الشريفة

(مختارات)

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ﴾

(النجم ٣ – ٥)



الأحاديث النبوية الشريفة
في المرض والصحة

(وما ينطبق عن الهوى) النجم ٣

الجذام وأخطاره

قال رسول الله ﷺ :

(فر من المجذوم كما تفر من الأسد) رواه البخاري

ثبت علميا بأن مرض الجذام من أخطر الأمراض الجلدية ومن الصعب السيطرة عليه وهذا المرض يصيب أطراف الأعصاب ويجعل المريض يفقد الإحساس فلا يحس بالألم والبرودة ، كما يسبب ضمور العضلات ويؤثر أحيانا على الإبصار وأحيانا يصيب الخصيتين عند الرجل ويفقده القدرة الجنسية .

ومنه ما يصيب الوجه وقد يسبب سقوط شعر الحاجبين ورموش الأعين كما قد يسببب حصول نزيف مخاطي مستمر من الأنف ويجعل شكل وجه الإنسان كوجه الأسد ويقول صلى الله عليه وسلم للأصحاء ؟

(لا تديموا النظر إلى المجذومين) رواه البخاري/ وورد في إرشاد الساري لشرح البخاري .

لقد ثبت في علم النفس حديثا بأن إطالة النظر إلى المريض يزيد من مرضه إذ يشعره بالمصيبة التي ابتلي بها وتزداد حسرته ولذلك فقد نهى الرسول ﷺ

عن النظر إلى المرضى مراعاة لمشاعرهم كما أدرك الرسول ﷺ بالوحي من الله خطورة العدوى من مرض الجذام فأمر الأصحاء بالابتعاد عن المصابين به دون إبطاء كما يبتعد الإنسان عن الأسد ا لمفترس حيث أن ميكروب الجذام إذا تمكن من الشخص السليم افترسه كما يفعل الأسد بفريسته .

ولنتذكر أن هذا الحديث النبوي الشريف قيل قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان .

الحمى وعلاجها

قال صلى الله عليه وسلم :

(إن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء) رواه البخاري

لقد ثبت في العلم الحديث أن من أهم علاجات الحمى تبريدها بالماء إذ ينصح الأطباء بصب الماء على جسم المريض ورأسه كما ينصحون بوضع كمادات من الماء البارد والثلج على المحموم وكان الرسول ﷺ إذا شعر بالحمى أمر بقربةٍ من الماء البارد فصبها على جسمه واغتسل بها .

وأصبح معروفا في الطب الحديث بأن الحمى الشديدة تؤدي إلى فقدان الوعي والغيبوبة وتكون سببا في الوفاة وقد تؤثر على الدماغ في الحالات الشديدة فتفقده القدرة على حفظ توازن الجسم ويصعب على الإنسان السيطرة والتركيز في أقواله وأفعاله وحركاته .

وفي ذلك يقول الرسول الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من التقدم العلمي الطبي الذي نشهده اليوم (بأن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء) صدق رسول الله .

السُمنة ومضارها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسبهِ لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لهوائه) رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما .

أصبح معلوما أن السمنة تعتبر خللا صحيا وتسبب الكثير من الأمراض مثل ضغط الدم المرتفع وانسداد أو تضيق الأوعية الدموية والجلطات كما أنها تعتبر من أهم أسباب مرض السكري وهي من أسباب الاضطرابات في الجهاز الهضمي والغدد الصماء ، وقد قيل أن الابتلاء من الامتلاء .

إن تحليل الدم الذي يطلبه الطبيب غالبا ما تكون نتيجته متوافقة مع الإكثار من الطعام والشراب ، فارتفاع نسبة الكوليسترول والدهنيات تترافق عادة مع الزيادة في التهام الطعام والشراب . لذلك فإن الرسول الكريم ﷺ يقول (صوموا تصحوا)

لذلك يحذر الأطباء من البدانة والإسراف في تناول الطعام كما أن البحوث العلمية أثبتت خطر الاعتماد على استخدام العقاقير والكيماويات لإنقاص الوزن وأثبتت بما لا يقبل الشك بأن الإقلال من الطعام والشراب كما طلب رسول الله ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرنا هو الحل لتفادي الكثير من الأمراض .

الحجامة وارتفاع ضغط الدم

قال صلى الله عليه وسلم (نعم العبد الحجام يذهب الدم ويجفف الصلب

ويجلو عن البصر) رواه الترمذي كما ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره)

يقول الأستاذ محمد كامل عبد الصمد في كتابه .(الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية) ما يلي :

أثبت العلم الحديث أن الحجامة قد تكون شفاء لبعض أمراض القلب وبعض أمراض الدم وأمراض الكبد . ففي حالة شدة احتقان الرئتين قد يكون إخراج ا لدم بفصده عاملا جوهريا هاما في العلاج ، وقد ثبت علميا أن إخراج الدم بفصده قد يكون علاجا فعالا لحالات الارتفاع الشديد المفاجىء لضغط الدم ، كما أن بعض أمراض الكبد مثل التليف الكبدي يفيد فيه إخراج الدم بفصده . وثبت في علم الطب الحديث أنه لا مناص من فصد الدم وإخراجه في حالات زيادة كريات الدم الحمراء عن الحدود المقبولة .

وهكذا يكون الرسول ﷺ قد سبق الطب الحديث بأكثر من أربعة عشر قرنا بإعجاز علمي حكيم كشفته البحوث العلمية في عصرنا الحاضر لتؤكد لنا قول الله تبارك وتعالى

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم ٣ - ٤)

الأخوة في الرضاعة وحكمتها

قال رسول الله ﷺ :

(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) متفق عليه

أصبح معلوما الآن أن حليب الأم الذي ينتقل إلى الرضيع يتكون من أنواع كثيرة من الخلايا وأن كل خلية منها بداخلها نواة تحمل الجينات البشرية DNA

التي تعتبر أساس البصمة الوراثية ، أي تلك التي تعطي لكل إنسان المواصفات الخاصة به وتجعله يختلف عن أي إنسان آخر .

إن الجينات البشرية وما بها من صفات وراثية DNA هي التي تميز كل إنسان عن الآخر وبالتالي تعطيه البصمة الوراثية التي لا يتساوى فيها اثنان في هذا الكون ، إنها قدرة الله تعالى الذي قدر هذه الفردية للإنسان

وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا (مريم ٩٥)

لنتوصل بها إلى وحدانية الخالق الفرد الصمد .

إن الصفات الوراثة التي تحملها DNA قد يثبت علميا - وهذا لم يظهر بعد - انتقالها من الأم إلى الرضيع الغريب عنها حيث أن أجهزته لم يكتمل نضجها وإذا صح هذا فإن اكتشافات علمية جديدة وتطبيقات هامة قد تنشأ عنها .

لقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة بأن لبن الأم المرضعة يحتوي على أجسام مناعية ينتقل إلى الرضيع ويكسبه مناعة خاصة بشرط تعاطيه من ثلاث إلى خمس جرعات ، وبالتالي فإن من يرضع اللبن بالمقدار المذكور يحصل على نفس الصفات الوراثية بين الأخويين في الرضاعة . ولقد وجد في الأبحاث العلمية أن وجود هذه الأجسام المناعية الواحدة عند الأخوة يمكن أن يؤدي إلى أمراض وتشوهات خلقية في النسل عند الزواج .

ومن هنا نرى الحكمة في هذا الحديث الشريف الذي ينص على تحريم زواج الأخوة من الرضاع وحددها بخمس رضعات مشبعات .

الاختلاط ومخاطره

قال ﷺ : (لا يخلون أحدكم بأمرأة إلا مع ذي محرم) متفق عليه

إن اختلاط الرجال بالنساء يثير الغريزة الجنسية ويخرج النفس البشرية عن الحدود الأخلاقية التي تحفظ توازن المجتمع وتعمل على رقيه وتساميه ، إن الاختلاط أفسد المجتمعات الغربية وجعلها تعاني من الجرائم الأخلاقية والانحرافات السلوكية .

إننا نشاهد كل يوم الكثير من الممارسات الخاطئة التي يقترفها الشباب والشابات بسبب الاختلاط الذي يبرره البعض باسم التحرر والتحضر ويتناسون أن أهم أسباب الجرائم الأخلاقية تعود إلى الاختلاط كما أنه يذهب الحياء من النساء الذي يعتبر سياجا للعصمة ومدخلا إلى قلوب الجنس الآخر ومطلبا على سنة الله ورسوله .

إن الشواهد العلمية على مساوىء الاختلاط ومصائبه نراها كل يوم لتدلنا بصدق على الحكمة الإلهية في قول رسولنا الكريم ﷺ (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم) .

هذا مع أن الإسلام أجاز الاختلاط بشرط الحشمة في اللباس وخشية الله في القول والعمل وفي ظروف محددة وأهداف معينة كطلب العلم أو المشاركة في الجهاد ووضع شروطا لهذا النوع من الاختلاط لا يجوز الخروج عليها . كما لا يجوز اعتبارها ذريعة لإباحة الاختلاط .

نقص المناعة وهرمون الميلانونين

قال رسول الله ﷺ :

(غطوا الإناء وأوكئوا السقاء وأغلقوا الأبواب وأطفئوا السراج فأن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح بابا ولا يكشف إناء ، فإن لم يجد أحدكم إلا ان يضع

على إنائه عوداً ويذكر اسم الله فليفعل ، فان الفويسقة تضرم على أهل البيت ببيتهم)[١] .

إن في هذا الحديث الشريف مدلولات علمية كثيرة أهمها :

- قول الرسول الكريم ﷺ (أطفئوا السراج) ، أذ يؤكد الباحثون هذه الايام في جامعة أريزونا الامريكية ان الظلام يفيد الصحة ويحسن أداء جهاز المناعة في الجسم بصورة كبيرة ، ونشرت إحدى المجلات الامريكية المتخصصة (My Son) ان الجسم في الظلام يفرز هرمون الميلانونين الذي يلعب دوراً وقائياً في مهاجمة الامراض الخبيثة كسرطانات الثدي والبروستات . وأشار الباحثون الى ان عملية انتاج هذا الهرمون الذي يعيق نمو الخلايا السرطانية قد يتعطل مع وجود الضوء ، فسبحان القائل :

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾

(النبأ ٩ - ١٠)

- وقول رسوا الله ﷺ (غطوا الإناء وأوكئوا السقاء) فقد أصبح معلوماً الان بان الإناء المكشوف والماء الراكد المكشوف عرضة لانتقال الجراثيم اليه من الهواء ، او من الحشرات التي تحمل تلك الجراثيم .

أخطار النار :

قال صلى الله عليه وسلم :

(إن هذه النار إنما هي عدو لكم ، فاذا نمتم فأطفئوها عنكم)[٢] .

أصبح معروفاً اليوم بان النار الموقدة تستهلك غاز الأوكسجين اللازم لتنفس

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإشربة .

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن في كتاب الأدب .

الانسان ، وخلال فترة وحيزة يفقدالمكان الأوكسجين تدريجياً مما يسبب اختناق الانسان وموته ببطء وبالتدريج ، وهذا ما يحصل لكثير من الناس الذين ينامون دون ان يطفئوا النار او يبعدوها عن بيتهم .

هذا فضلاً عن حوادث الحريق القاتلة التي تحصل دائماً بسبب ترك النار موقدة في البيت ، فهل كان الرسول ﷺ على علم بهذه الأمور التي لم تكن معلومة في زمانه ؟ حقاً إنه لا ينطق عن الهوى .

الاضطرابات السيكولوجية والدوافع العدوانية

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :

(أوصاني خليلي بثلاث : صيام ثلاثة ايام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وان أوتر قبل أن أنام)[1] .

وجاء في فتح الباري في شرح صحيح البخاري ان المراد بالايام الثلاث نلك الايام التي يكون القمر في لياليها مكتملاً ويكون ظاهراً من اول الليل الى آخره وسميت تلك الايام البيض لان لياليها تكون بيضاء من شدة ضوء القمر عند اكتماله ، وهي أشبه بالنهار في بياضها لذلك انسحب الاسم على اليوم ببياض نهاره وسواد ليله ،

وها هو العلم الحديث يكشف لنا السر بعد اكثر من ألف وأربعمائة سنة حيث ظهرت ابحاث علمية كثيرة مفادها أن القمر عندما يكون بدراً في الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري يزداد التهيج العصبي والتوتر النفسي الى درجة كبيرة . . . ويقول في ذلك الدكتور ليبر عالم النفس

---

(١) صحيح البخاري .

في امريكا : ان هناك علاقة قوية بين العدوان البشري رالاضطرابات النفسية وبين الدورة القمرية وخاصة لدى أولئك الذين يعانون من عدم الاستقرار العقلي والعاطفي وذوي النزعات الاجرامية وأصحاب الميل لارتكاب الحوادث .

ويشرح ليبر نظريته قائلاً :

إن توزيع المواد السائلة والصلبة في جسم الانسان يقارب ما هو موجود على سطح الارض إذ ان الماء موجود في جسم الانسان بنسبة تفوق الـ ٧٠٪ وهي نفس نسبة الماء على سطح الارض تقريباً ، ولذلك فهو يعتقد بان قوة جاذبية القمر التي تسبب المد والجزر في البحار والمحيطات هي التي تسبب ايضا هذا المد في اجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في الايام البيض (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري) حيث تبلغ الاضطرابات السلوكية اقصاها في تلك الايام وتكثر المشاكل والحوادث العدوانية وقد اخذت شرطة ميامي برأيه واصبحت تزيد من مراقبتها وتبذل المزيد من الجهد في تلك الايام لتجنب الحوادث .

ولعل في صيام تلك الايام الثلاث التي ذكرها الرسول الكريم ﷺ وهي الايام التي يزيد فيها التهيج العصبي والتوتر النفسي ما يدعو الى السكينة والطمأنينة والهدوء النفسي مما يحقق التوازن والاتزان في الجسم والعقل ويحفظ على الانسان صحته السيكولوجية والفسيولوجية ويحفظ على المجتمع استقراره وأمنه .

وفي هذا تأكيد بان الرسول الكريم ﷺ كان موصولاً بالوحي يعطيه من مكنونات العلم ما كان خافياً على البشر جميعهم ، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

الأحاديث النبوية الشريفة في الطعام والشراب

زيت الزيتـون

قال رسول الله ﷺ :

(كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة) [1] وقال صلى الله عليه وسلم (ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة) [2]

وهذا ما قاله تعالى في سورة النور ٣٥

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ

وقد ثبت في أيامنا هذه بان زيت الزيتون يقلل من نسبة الكوليسترول في الدم ويمنع تراكم الدهون على جدران الأوعية الدموية وهو غذاء لا يعدله غذاء .

اللـــبن :

(لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ اذا أتى باللبن قال كم في البيت بركة او بركتين)[3] ولما روي عن ابن عباس ، قال ،

---

١) مسند أحمد ٤٩٧/٣ ، والحاكم في المستدرك ٣٩٨/٢ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

٢) صحيح ابن ماجة للألباني٢/٢٣٣ ، وقد أخرجه ابن ماجة برقم ٣٣١٩ .

٣) مسندأحمد بن حنبل ١٤٥/٦ .

قال رسول الله ﷺ (من أطعمه الله طعاماً فليقل بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن)[1]

الحبة السوداء والعجوة والكماء :

ومن الأطعمة التي لها بركة كبيرة في الدواء ، الحبة السوداء والعجوة والكماة ، لما روي عن رسول الله ﷺ ، أنه قال (إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام) [2] وقال ﷺ ، أنه (الكمأة من المن وماءها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من الجِنَة) [3]وقال ﷺ (من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) [4]

العسل :

لما جاء عن أبي سعيد قال ، جاءرجل الى النبي ﷺ ، فقال (إن أخي استطلق بطنه ! فقال اسقه عسلا) فسقاه ثم جاء فقال يا رسول الله : قد سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا ! قال فقال رسول الله ﷺ (اسقه عسلا) قال فسقاه ثم جاء فقال يا رسول الله إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا قال فقال رسول الله ﷺ (صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ [5]

---

١) حسنه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢٣٣/٢ ، وقد أخرجه ابن ماجة برقم ٣٣٢٢ .
٢) صحيح ابن ماجة للألباني٢٥٤/٢ ،
٣) صحيح ابن ماجة للألباني٢٥٤/٢ ،
٤) صحيح البخاري مع الفتح ٢٠٤/١٠ .
٥) صحيح مسلم مع الفتح ١١٩/١٠ .

والمراد والله أعلم قول الله تعالى

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾ (النحل ٦٩)

ماء زمزم وماء المطر :

نورد هذه الأحاديث النبوية الشريفة دون تعليق ، وللقارىء ان يفكر بها ليصل الى معانيها العلمية التي توصل إليه العلم في عصرنا وقالها رسولنا الكريم صلوات الله عليه قبل اكثر من أربعة عشر قرناً .

قال صلى الله عليه وسلم عن ماء زمزم [1] (إنها مباركة ، إنها طعام طعم) .

وقال تعالى في ماء المطر

﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ (ق ٩)

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا أمطرت السماء يقول : (يا جارية أخرجي سرجي ، أخرجي ثيابي ، ويقول : ونزلنا من السماء ماءً مباركاً)[2] .

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٣٠ .

٢) الأدب المفردص ١٨٠ ، باب التيمن بالمطر .

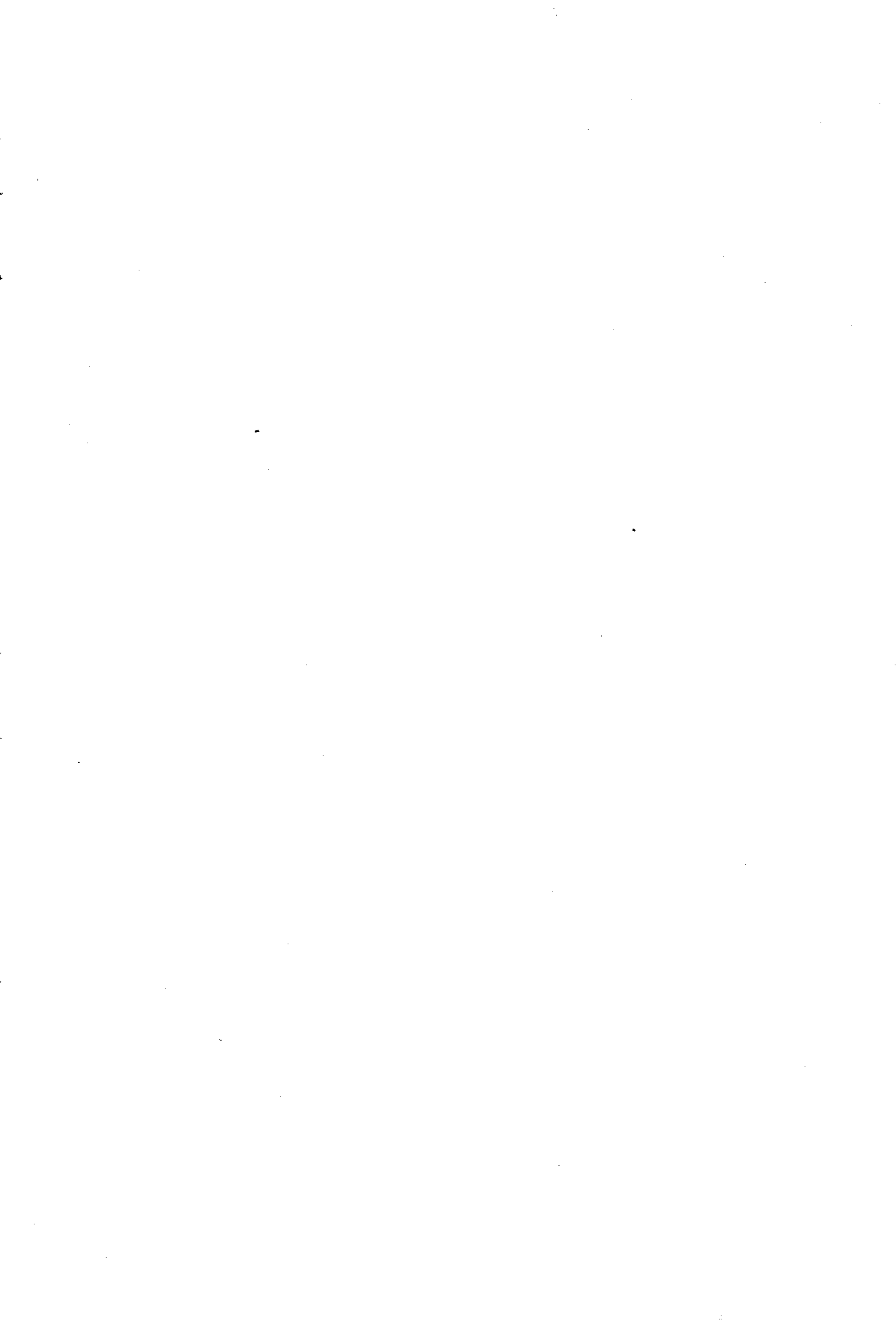
الفصل السابع

الله

هو الحقيقة الكبرى

ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا

(الفرقـان ٢)



من هو خالق الكون ؟

سؤال كبير شُغل به الإنسان منذ أن كان له وجود في هذا العالم ، إنه يتطلع بحواسه ليرى مظاهر الحياة وأنواعها المختلفة فيغوص ببصره وبصيرته ولا يدخر جهدا من عقل أو عاطفة ليعرف تلك الحقيقة الكبرى :

من أين جاء ؟ وكيف تكوّن منذ الأزل ؟ وما هو عليه الآن من تركيب وإبداع ؟ وإلى أين المصير ؟

سؤال فَرَضَ على الإنسان خلال كل الأزمنة أن يبذل جهودا كبيرة استعمل فيها كل الحواس والعواطف والذكاء في بحثه عن تلك الحقيقة الكبرى .

البعض وصل إليها عن طريق التفكر في خلق السماوات والأرض وكان مع التفكير إعمال العقل والعاطفة . و البعض وصل إليها بالفطرة الكامنة في النفس البشرية التي تنمو مع الإنسان وتعمل على أداء وظيفتها بالبحث عن الخالق منذ أن تتفتح مشاعر الإنسان وتستيقظ مداركه .

كما أن بعضهم الآخر وصل إليها عن طريق العاطفة المجردة عن الفكر والإدراك ، بتأثير من الأهل والقربى أو المجتمع الذي يعيشون فيه ، وقد نرى بين هؤلاء وهؤلاء من وصل إلى الحقيقة الكبرى في مراحل متعددة باستعمال العاطفة والعقل معا .

بعد هذا التقديم نعود للسؤال الكبير من هو هذا الخالق العظيم؟ وكيف نصل إليه؟ هل بالعقل وحده نصل إلى الحقيقة الكبرى ؟

والعقل مهما بلغ من القوة والذكاء ليس إلا أحد الحواس التي تربطنا بهذا الوجود اللامحدود ، فالعين لها مقدرة محدودة في الإبصار ، فلا تدرك أكثر من مداها ، وكذلك الحال في حواسنا الأخرى المحدودة فهي تؤدي وظائفها في حدود مرسومة فإذا أجبرت على الخروج عن تلك الحدود ضلت سبيلها وأضلت غيرها من الحواس الأخرى فتاهت عن هدفها ومرماها . وكذلك عقل الإنسان له مجاله المحدود فهو يدرك حقائق الأشياء في محيطه ، فإذا خرج عن هذا الإدراك انزلق إلى ظلمات الضلال وتاه عن الحقيقة الكبرى .

إن هذا الوجود اللامحدود لا يستطيع العقل كما لا يستطيع البصر أن يحيط بعظمته فالأولى به أن يقف عند حدود وظيفته وأن يرضى بما يتكشف له من العلوم والأسرار .

تفكر في قول الحق سبحانه وتعالى :

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

(الملك ٣ - ٤)

وتفكر في قوله تعالى

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ

(البقرة ٢٥٥)

وستجد في الصفحات التالية ما يعينك على الوصول الى الحقيقة الكبرى ، ويدلك على هذا الخالق العظيم .

أين هي الحقيقة الكبرى ؟

هل بالأحاسيس وحدها نصل إلى الحقيقة الكبرى ؟

في البحث عن الحقيقة الكبرى لا بد من إيقاظ العقل أولا ليلتفت بسهولة ويسر إلى مظاهر الكون المحيطة به لفتةً حالمة ويلامسها بشغاف قلبه ومشاعره لا أن يغوص في أعماقها معللا ومحللا متجاوزا محدودية العقل والحواس .

إننا بهذا لا ندعو إلى إمساك العقل عن التفكير والبحث لمعرفة الخالق فهذا هو الطريق المستقيم الذي ندعو إليه ولكننا نريد من العقل أن لا يتطلع إلى ما فوق محدوديته ، فلا يندفع في التعليل والتحليل فوق طاقته ، وعلى العقل أن يدرك عجزه وقصوره عن معرفة الخالق ، إلا إذا استعان للوصول إلى تلك الحقيقة بقلب خاشع يُحوِّل الإدراك والتفكير إلى أحاسيس تبعث في النفس روعة وجلالاً ، من خلاله يصل المرء إلى الحقيقة الكبرى حيث يرى خالقه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ذو الجلال والإكرام .

لذلك فإن الخالق العظيم أعلمنا بأن من يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب :

وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ
(الحج ٣٢)

أين هي الحقيقة الكبرى إذن ؟

نظر الإنسان إلى الأرض وما عليها من أحياء وجبال كما نظر إلى السماء وما فيها من نجوم وكواكب فتكوّن في أعماقه صوراً لهذا الكون البديع صورا

كثيرة متعددة إلا إنها تجتمع في زمام واحد فهي مختلفة كاختلاف ألوان الطيف ففيها الأحمر والأصفر والأزرق إلاّ أنها تجتمع كما يجتمع الطيف ويتشكل منها لون أبيض واحد ، فكل هذه الصور وكل تلك الصنائع وهذه الموجودات لا بد وأن يكون خالقها واحد .

هكذا كشف الأولون عن الحقيقة الكبرى .

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

(النحل ١٣)

هكذا نعرف الخالق

جاء العلم فأشرق نوره على الناس ولا زال في طور الإشراق فكشف عن ذلك الإبداع في الخلق وكشف عن التناسق والتنظيم فيه .

فكشف عن النبات بأصنافة التي لا حصر لها وكشف عن الحيوان وفيه من الأجناس ما لا يعد ولا يحصى وكشف عن الإنسان بكل مراتب التقدم والرقي ، فأعاد كل الأحياء إلى خلية واحدة ، وإن كان فيها اختلافا فهو لتحقيق أغراض الخلق .

وكل الموجودات ذراتها واحدة وتركيبها واحد ودورانها واحد فدوران الإلكترون ودوران الكوكب والنجوم حتى دوران الإنسان حوله الكعبة كلها قوى واحدة تعمل على اختلاف في الدرجات ولكنها واحدة .

إن هذا التنسيق الواحد البديع ومُسير هذه القوى بنسق واحد ونظام واحد لا بد ان يكون خالق واحد .

إن الذي صمم عين الإنسان بهذه الروعة والجمال وهيأها لاستقبال الضوء الذي ينبعث من الشمس لا بد وأن يكون إله واحد .

فهذا التوافق العظيم بين فتحة العين وكمية الضوء الداخلة اليها ، إنما يدلنا على هذا الخالق العظيم الخبير الذي خلق كلّ شيء فقدره تقديرا ، انظر في قوله تعالى :

ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

(الفرقان ٢)

فالعين تكون عبئا ثقيلا لولا هذا الضياء الذي تبثه الشمس .

أثبت العلماء بأدلة لا تحصى بأن الأرض وما عليها ، والسماء وما فيها هي وحدة واحدة وفيها الدليل الواضح على وحدة خالق الأرض ووحدة خالق السماء .

واخيراً فأنك لو تفكرت وحدك واعملت فكرك وصدقت مع نفسك فلا بد وأن تصل إلى الله الخالق العظيم وتقر بوحدانيته بالعقل والعاطفة وكافة الحواس .

وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

(سبأ ٦)

في الماء نرى الحقيقة الكبرى*

لقد أوجز الله سبحانه وتعالى تكوين المطر ونزوله من السماء بآيات قرآنية عظيمة لو تفكرت فيها وتدبرتها لعرفت ما فيها من إعجاز كبير .

يقول الحق تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ (الـروم ٤٨)

إن العلماء في الوقت الحاضر يقرون بأن الرياح تثير السحب التي تتبخر من المياه على سطح الأرض بتأثير حرارة الشمس وهي أيضا تثير الغبار فتحمل الرياح ذرات الغبار والدخان فيتلقح البخار بها أي يتجمع عليها مشكلا قطرات من الماء لا يقوى الهواء على حملها فتسقط على الأرض مطراً وقبل ذلك فإن الله الحكيم الخبير الرحيم يبسط السحاب كيف يشاء ويسوقه إلى بلد ميت فينزله ماء يخرج به من كل الثمرات ليدلنا الله سبحانه وتعالى على حكمته ورحمته بعباده كما يذكرنا بالآخرة حين يخرج الموتى إذ أن في الحالتين إحياء بعد ممات .

فتفكروا في قول الحق تبارك وتعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
(الأعراف ٥٧)

---

* انظر صفحة ٦٤ من هذا الكتاب (الماء والنظام الكوني) .

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (٢)

(الفرقان ٧)

منذ زمن بعيد ونحن نعرف المادة ، وحالاتها الثلاث من صلبة وسائلة وغازية كما نعرف بأن المادة يمكن أن تتحول من حالة إلى أخرى :

فالمواد الصلبة يمكن أن تصبح سائلة بتأثير الحرارة فالثلج ينصهر ويتحول إلى ماء ، والحديد ينصهر ويتحول إلى سائل ، وكذلك معظم المواد الصلبة .

والمواد الصلبة تذوب أحيانا في السوائل كما يحدث في الأملاح التي تذوب في الماء فيمتصها النبات ويوزعها على الخلايا العديدة فيه ، والغذاء الذي يذوب في العصارات التي يفرزها الجسم ليسهل امتصاصه وانتقاله إلى الخلايا بدقة ونظام محكم ليبقيها في الحياة تعمل مع غيرها بتوازن دقيق ليظل الإنسان حيا .

وقد يحدث العكس إذ تتحول أحيانا المادة السائلة إلى حالة الصلابة فالماء يتجمد بالبرودة والمعروف أن المادة في حالة الصلابة تصبح أكثر كثافة وأكثر وزنا فتهبط إلى الأسفل إلا الماء فأنه بعد أن يبرد لدرجة (+٤م) يبدأ في الارتفاع إلى أعلى حتى يصل إلى السطح متجمدا بدرجة الصفر المئوي .

ولولا هذا التنظيم الإلهي الدقيق لرأيت البحار في درجة حرارة الصفر المئوي ودون ذلك حيث تصبح قطعة واحدة من الثلج مما يؤدي الى موت كل الأحياء المائية . لكن الله الخالق الرحيم أراد للأحياء البحرية أن تبقى حية فأوجد هذه الخاصية ليكون الثلج من أعلى والماء الدافىء من أسفل بدرجة حرارة (+٤م) وهي درجة الحرارة المطلوبة لإبقاء الكائنات البحرية حية ، كما أن تحول المادة

السائلة إلى الغازية جعل تبخر الماء من على سطح الأرض ومن البحار ممكنا فتحركه الرياح بنظام محكم وتقدير حكيم لينتشر على ارتفاعات مختلفة ، فوق بقاع الأرض كلها ويتكاثف بتأثير البرودة ويتجمع على ذرات الغبار والدخان وتتكون قطرات من الماء ثقيلة لا يستطيع الهواء حملها فتنزل على الأرض مطرا .

وقد ذكر القرآن الكريم تلك الحقائق العلمية بإيجاز وإعجاز :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ (الروم ٤٨)

إن خواص المواد وصفاتها وقدرتها على التحول من حالة الى حالة قد خُلقت بتقدير حكيم عليم ولولا ذلك لما أمكن أن تقوم في هذا الكون حياة ، ولك أن تفكر كيف لو تغيرت حالات المواد وخصائصها بغير نظام ؟ لو صارت الأرض سائلة أو الهواء صلبا فكيف تكون الحياة ؟

إن خواص المواد وصفاتها وتغير حالاتها بقوانين دقيقة تدلنا على أنها من صنع خبير عليم هو القوي المهيمن الوهاب ، هو الله العزيز الحكيم .

ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

(الفرقان ٢)

في الإنسان نرى الحقيقة الكبرى

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (الذاريات ٢١)

تعال معي لنتتبع خلق الإنسان إذ يبدا هذا الخلق من النطفة (الحيوان المنوي) الذي يتحد مع نطفة أخرى (بويضة الأنثى) ، إن اتحاد النطفتين في رحم المرأة (القرار المكين) يشكل خلية كاملة ذات ٤٦ كروموسوم ثم تتحول تلك الخلية الكاملة بعد أن تتلقى الغذاء وضمن الظروف البيئية المناسبة في القرار المكين إلى إنسان كامل بعد ان تمر بالأطوار الخلقية المعروفة .

مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

(نوح ١٣ - ١٤)

ولعل من المفيد ان نذكر هنا ان الاطوار هي مراحل خلق الانسان تفكر في قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

(غافر ٦٧)

وفي الاطوار المختلفة تتشكل العظام والأيدي والأقدام والرئتان والقلب . . وهكذا حتى يخرج الجنين ويصير طفلاً ثم رجلاً ثم شيخاً .

فمن أشرف على هذا التكوين الدقيق ؟

ومن أشرف على هذا البناء المتوازن ؟ ومن أبدع هذا الجسم المتكامل ؟

بل من أودع في الجسم هذه الروح التي غرست فيه صفاته الإنسانية أو الحيوانية ؟

وكيف نما هذا الجسم حتى اكتمل ، ومن الذي يتوفى الانسان بغد ان يبلغ الاجل المسمى .

فهل الحيوان خلق نفسه والجماد خلق نفسه والنبات خلق نفسه ؟

أم هل الغذاء أو الطبيعة بما تحويه من شمس ونجوم ورياح ومياه ونبات تمتلك القدرة والحكمة والبصيرة لتخلق هذا الإنسان وتخلق فيه هذه الروح .

إن الإنسان إذ تمعن في نفسه وتبصر في خلقه وعاد إلى عقله يصل إلى أنّ ما يحصل من اتحاد الحيوان المنوي للرجل مع بويضة المرأة ، وما يتلو ذلك من تحولات وأحداث تسير وفق قوانين محكمة وخطة مرسومة قدرها الحكيم الخبير وهدى كل حركة في هذا الخلق أن تسير وفق هذا النظام القويم بالدور المرسوم لها باتزان وتكامل وتماثل إنها إرادة الخالق العظيم القوي القادر على كل شيء العليم بكل شيء .

عُد إلى التفكر في قول الحق جل وعلا :

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾

(عبس ١٧ - ٣٠)

ولبيان دقة التدبير الإلهي والإعجاز العلمي تفكر في ميكانيكية عمل بعض الأجهزة في جسم الإنسان :

١ - لسان المزمار/ اللهاه ، إنها تفتح باب المريء حيث تنزل اللقمة إلى البلعوم عن طريق المريء المفتوح وتقفل باب القصبة الهوائية في نفس الوقت بدقة متناهية وتنظيم محكم .

٢ - سائل اللمف الذي يأخذ الغذاء المهضوم الجاهز من الأوعية الدموية من جدران الشعيرات الدموية ويعطيه إلى الخلايا المختلفة تتغذى به ثم يستلم هذا السائل من الخلايا البقايا والفضلات ويلقيها في الشعيرات الدموية ليقوم بإيصالها إلى أجهزة الإخراج المختلفة خارج الجسم .

٣ - أنظر إلى دماغ الإنسان ، بالإضافة إلى التعقيدات الإعجازية التي تحتوي عليها أجزائه ودقة تكوينه إلا أن له صفة إعجازية كبيرة فهو الجهاز الوحيد الذي لا تتغير خلاياه ولا تتبدل لا يطولها العطب ولا التجدد لأن تلك الخلايا تحتوي على جينات تحتفظ بذكريات كاملة عن كل حياة الإنسان ، إنها ديسكات كمبيوترية من صنع الخالق العليم القدير عليها تسجيل بالصوت والصورة لكل ما يحيط بالإنسان وإلا كان الإنسان لا يعي شيئا ولا يتذكر شيئا ولو حدث له قبل لحظات .

هذا صنع الله العزيز الحكيم ، الخبير بما يصنع فأروني ماذا يصنع الذين يدعون مع الله إله آخر والذين ينكرون وجود الله ويعبدون من دونه الطواغيث تبارك الله أحسن الخالقين .

كيف جاء القرآن بهذه الحقائق التي اتفقت مع ما وصلت إليه العلوم والبحوث بعد جهود مضنية عبر مئات السنين ، هل كان ذلك بالصدفة ؟

وإذا صدقت الصدفة مرة واحدة فماذا تقول الحقائق العلمية الأخرى ؟

أم هل كان النبي الأمي يعرف الحقائق والعلوم والمشكلات العلمية التي لا يعرفها عصره كما لا يعرفها من كان قبله ، ولم تُعرَف إلا بعد موته بأربعة عشر قرنا .

ومع هذا فلا يجوز لنا أن ندعي بأن القرآن الكريم هو مرجع علمي بالمعنى المعروف وأن فيه ما يفسر لنا كل ظاهرة علمية أو اكتشاف علمي خشية أن يقتنص الملحدون والكافرون الفرصة ليقولوا هذا كشف جديد فأتونا بشيء من القرآن يؤيده أو أثبتوه لنا بشيء من القرآن ، إن الرد على هؤلاء وهؤلاء جاء بقوله سبحانه وتعالى :

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ (البقرة ٢٥٥)

فالعلم عند الله معروف ومعلوم بلا حدود ولكن يعطينا منه بالقدر الذي يشاء وفي الوقت الذي يشاء سبحانه وتعالى .

ولكني أحب أن أتساءل كيف استطاع رجل منذ اكثر من ١٤٠٠ عام أن يأتي بمثل هذه الحقائق العلمية الرائعة ؟

فهل كان صاحب تلك الرسالة ذلك النبي الأمي عالماً في الفلك وعالما في الجيولوجيا وعالما في الفيزياء وعالما في الطب .

الحق أنه لا سبيل إلى الجدال وليس أمامنا إلا التسليم بأنه وحي يوحى من عند الخالق العليم .

والآن ليس أمام المكابر من سبيل وليس وراء هذا الوجود من غاية غير الله

تعالى ، وكل شيء فيه يسعى إلى الله تعالى ويسبح بحمده ولكن كان الإنسان أكثر شيء جدلا .

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

(يس ٧٨ - ٧٩)

وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

(الذاريات ١٩ - ٢١)

في قدرة الخالق نرى الحقيقة الكبرى

ولكي نعرف قدرة الله في خلقه حق المعرفة نكرر ما أوردناه في صفحات اخرى من هذا الكتاب ،لنلاحظ هذه القدرة الالهية في اكبر الأشياء وأصغرها فأنظر إلى الشمس التي تمدنا بالحياة انها تبعد عنا ثمانية دقائق ضوئية اي ما يساوي ١٥٠ مليون كم تقريباً وهذا يعني لو أن صاروخاً انطلق إلى الشمس بسرعة ١٠٠٠ كم في الساعة يحتاج إلى ما يقرب من عشرين سنة حتى يصل اليها . إن أقرب المجرّات إلى الأرض هي مجرة التباتات وقطرها يساوي ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية وقد عرف حديثا بأن هناك مجرات تبعد عنا ٢٦ بليون سنة ضوئية .

ومن المعلوم بأن أقرب نجم علينا يبعد عن الأرض ٤,٥ سنة ضوئية أي حوالي ٤٠ مليون مليون كم . والمعروف علميا بأن السنة الضوئية تساوي ٩,٥ مليون مليون كم وذلك استنادا إلى سرعة الضوء التي تساوي ٣٠٠,٠٠٠ كم/ث .

وما نعلمه أن هذا الكون الشاسع يبلغ قطره اكثر من ٢٠ الف مليون سنة ضوئية ، وان مجرتنا لوحدها فيها اكثر من مليون مليون نجم كشمسنا ، وفي السماء الدنيا لوحدها اكثر من ٢٠٠ الف مليون مجرة بعضها اكبر من مجرتنا وبعضها اصغر قليلاً .

أنها عظمة لله الخالق العظيم ، القادر العليم ، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا .

هذه قدرة الله في اكبر الاشياء أما قدرته جل وعلا في أدق الاشياء فتتضح لنا بكثير من الدهشة اذا تابعنا ما يجري في خلية واحدة من جسم الانسان .

ان تلك الخلية المتناهية في الصغر تحتوي بداخلها على أكثر من ٣٠٠٠ انزيم وتجري فيها تفاعلات كيماوية معقدة للغاية ينتج عنها طاقة فاعلة تختزنها في ما يشبه البطارية (المايتوكوندريا) Mytocondroa وتعيد استعمالها عند الحاجة .

ان في الخلية النواة وبداخلها الكروموزومات التي تحتوي على المورثات (البصمة الوراثية) التي تميز كل انسان في هذا الكون عن الآخرين وتعطيه الصفة الوراثية المحددة التي لا يتساوى فيها اثنان من البشر .

ولا يوجد في هذا الكون من يعرف كيف تدب الروح في هذه الخلية ليظل هذا سراً يعظِّم قدرة الله ويشعر الأنسان بانه محدود التفكير ومحدود العلم إلا بالقدر الذي يريد الله له أن يعلمه

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

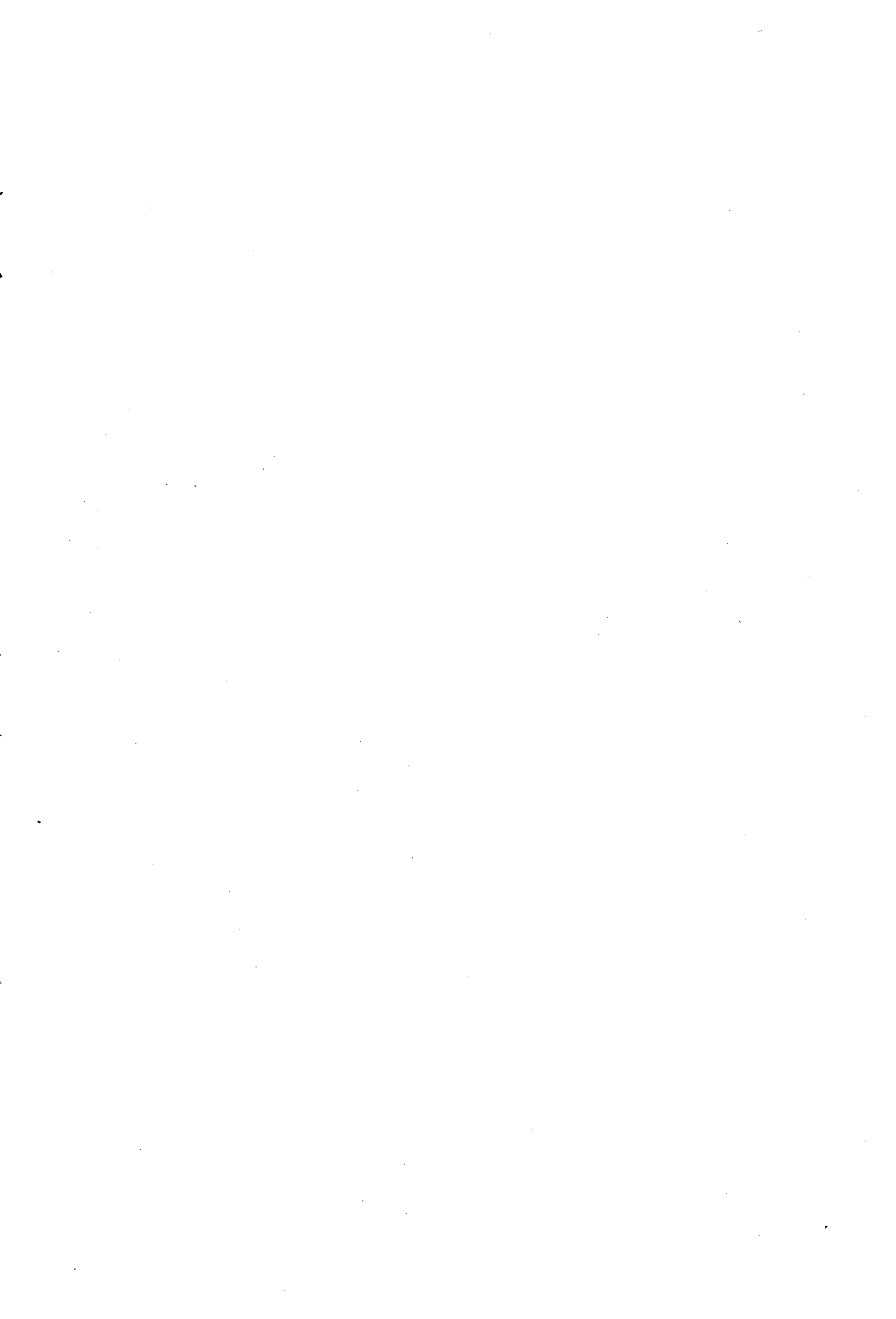
(الاسراء ٨٥)

الفصل الثامن

الله
والخلق والإنسان

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

(الملك - ١٤)



﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾

(الكافرون ٦)

رغم كل ما ذكرناه من حقائق وبينات إلا أن هناك من يصر على الكفر ويحاول اختلاق الشبهاتِ حول هذ الكون وخالقه العظيم فمن الناس من يدَّعي أنّ هذا الكون خلقِ مصادفة مِن غيرِ خالق ومنهم من علَّل وجود هذا الكون بأنه من فعل الطبيعة ذاتها وأخيراً أولئك الأضل سبيلا الذي قالوا بنظرية دارون حيث حاول أصحاب هذا النظرية تعليل وجود الكون بالتطور وقالوا أنها نظرية علمية تعتمد على الحقيقة الملموسة والمشاهدة في الخلق فصدقها وعمل على نشرها الكثيرون بنيّة حسنة .

وسنحاول أن نبين الباطل الذي يزعمون به أصحاب تلك الأقوال والنظريات المشبوهة ونرد عليهم أقوالهم بالعلم والمنطق .

هل وُجد الخلق بالمصادفة ؟

إن القول بأن هذا الكون خلق مصادفة من غير خالق ليس قولا بعيدا عن الصواب فحسب بل هو قول بعيد عن المعقول إذ لا يقول به إلا من فقد عقله وضل سبيله ، إن القرآن الكريم الذي يخاطب العقول ذكر لنا في آيات كثيرة الأدلة الواقعية والعلمية على وجود الخالق وعظمته كما يوضح لنا القرآن الكريم في غاية البساطة والسهولة بأن لهذا الوجود خالق قدير عليم حكيم إذا أراد إيجاد شيء ما فإنما هي كلمة يقول : كن فيكون .

هكذا خلق الله الأرض والسماء ، وخلق في الأرض البحار والنبات والحيوان والإنسان كما خلق في السماء الشمس والقمر والنجوم .

ولعل من أقبح الصفات أن يجادل الإنسان ربه الذي أوجده وأحسن خلقه فيرد قوله ويكذب خبره فمن أصدق الخالق أم المخلوق ؟ وهل كان الإنسان شاهدا على الخلق ليجادل الله به ؟

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك ١٤)

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ (الكهف ٥١)

ولنأخذ هذا المثال الذي ذكره كريستي موريس في كتابه (الإنسان لا يقوم وحده) الذي ترجمه محمود صالح الفلكي بعنوان العلم يدعو للإيمان .

ويبين به استحالة القول بوجود الكون مصادفة قال :

(لو تناولت عشرة دراهم وكتبت عليها الأعداد من واحد إلى عشرة رميتها في جيبك وخلطتها جيدا ثم حاولت أن تخرج من الواحد إلى العاشر بالترتيب العددي بحيث تلقي كل درهم في جيبك بعد سحبه مرة أخرى . فإن احتمال سحب الدرهم رقم واحد في المحاولة الأولى هو واحد إلى عشرة واحتمال سحب رقم ١ ورقم ٢ متتابعين هي بنسبة ١ : ١٠٠ واحتمال سحب الدراهم التي عليها أرقام ١ ، ٢ ، ٣ متتالية هي بنسبة ١ :١٠٠٠ أما احتمال سحب الدراهم ذات الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ تصبح ١ :١٠٠٠٠ وهكذا حتى يصبح احتمال سحب الدراهم كلها مرتبة من ١ إلى ١٠ هي بنسبة ١ : ١٠ بلايين) .

إنك تلاحظ من هذا المثال البسيطة كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد المصادفة فكم يستغرق بناء هذا الكون لو نشأ بالمصادفة ، إن مجرد التفكير به يجعله مستحيلا وأبعد من الخيال إذ لا بد للحياة فوق هذه الأرض من شروط جوهرية عديدة مخلوقة بدقة وتدبير محكم ، ولا يعقل بل من المستحيل توفرها بمجرد المصادفة أي لا بد لها من التوجيه الدقيق وذلك يقتضي أن يكون هناك هدف لهذا الخلق : إن كل ما في الكون يحكي أنه إيجاد خالق حكيم عليم خبير ، ولكن الإنسان بجهله يظلم نفسه .

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾

(عبس ١٧ - ٣١)

ونتساءل كيف يمكن أن تأتي المصادفة في ذلك كله في خلق الإنسان وتكوينه وفي صنع طعامه على هذا النحو المقدر الذي تشارك فيه الأرض والسماء ؟ وصدق الله في وصفه للإنسان :

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

(الأحزاب ٧٢)

بقي ان نقول ان حجم الكرة الارضية ، وبعدها عن الشمس ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة ، ووجود النجوم والكواكب وأبعادها وحركاتها ، ودورة المياه على الارض وتركيب الهواء و . . . و . . . ووجود الانسان على الارض وتركيبه المعقد وبث الروح فيه كلها حقائق تدل على التنظيم المحكم ، والتصميم والقصد ، وكلها حقائق اعتمدت على قوانين حسابية فوق طاقة الانسان لتدلنا على ان هذا النظام العظيم ما كان له ان يحصل بالمصادفة ، وان انسجام الطبيعة لكي تتوافق مع حياة الانسان تدلنا على التدبير المقصود ، كما تدلنا على ان هناك برنامجاً مرسوماً بدقة واحكام ينفذه الخالق جل وعلا بمشيئتع وتدبيره .

تفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

(النارعات ٢٧ - ٣٣)

هل الخلق من صنع الطبيعة ؟

إن هذا القول ما هو إلا ترديد للقول الخاطىء بأن الشيء أوجد نفسه ، أي أن أصحاب هذا الفكر يقولون بأن الكون خلق الكون ، فالسماء خلق السماء والأرض خلقت الأرض ، والكون نفسه أوجد الإنسان والحيوان والنبات . وفي الرد على هؤلاء نقول :

بأن الشيء نفسه لا يخلق شيئا أرقى منه وأقدر وأعلم فالطبيعة بما فيها من سماء ونجوم وأقمار و . . . لا تملك عقلا ولا سمعا ولا بصرا فكيف لها أن تخلق عاقلا وسميعا وبصيرا ، وببساطة نقول : هل الآله قادرة على أن تصنع نفسها ؟ وهل النظام أي نظام في الكون يصنع نفسه ؟ والطبيعة الجامدة هل توجد الحياة بما هي عليه من مواصفات نشهدها كل يوم ؛ فالحياة شديدة الخصب في تكاثرها وتعول نفسها وتطعم من فائضها وهي بذلك تضبط جميع الكائنات الحية بموازين دقيقة فتمنع أي مخلوق من أن يطغى على العالم ، فالجراد مثلا لو بقي دون ضابط استطاع في بضع سنين أن يلتهم كل زرع أخضر وعندئذ تنتهي حياة كل حيوان وإنسان فوق الأرض .

والحياة قادرة على تشكيل الكائنات الحية ، فانظر كيف تصنع اختلافا في أوراق النباتات وانظر كيف تلون الأزهار وكيف تعطي العصافير ألوانها الزاهية وأصواتها الموسيقية .

والحياة مهندسة بارعة فهي قد صممت وصنعت سيقان الجندب والبرغوث والعضلات والمفاصل والقلب الذي يخفق دون كلل كما أوجدت الدورة الدموية

في الكائنات الحية ، والحياة تشكل الأزهار وترغم النمل والحشرات على أن تحمل اللقاح من عضو التذكير إلى عضو التأنيث حتى تظل الحياة .

والحياة تمنح كل المخلوقات الفرح فانظر إلى الحمل وهو يرتع ويقفز فرحا وانظر إلى الطفل يضحك ويلعب وفي عينيه بريق الفرح وعلى خديه ابتسامة يحركها إلى شفتيه ليعكس مكنونات صدره من الفرح والسعادة .

والحياة تنتج الحياة أو تعطي اللبن للوليد وتوفر الغذاء في البيض أو أنها تخزن الغذاء تأهبا لصغارها بوحي الأمومه ، وقد جاءت أيضا بحب الأم لولدها وحب الإنسان للوطن .

وهي كذلك تحمي نفسها بأساليب متعددة في استخدام الألوان لمساعدة المخلوقات أو إخفائهم عن الأعداء ، وبإعداد الساقين للهرب وإيجاد أسلحة الدفاع عن النفس كالقرن والمخالب والأنياب وكذا السمع والبصر والشم ، والأجنحة للتحليق في الأجواء .

والحياة هي المصدر الوحيد للوعي والشعور وهي وحدها التي تجعلنا ندرك صنع الله حيث يبهرنا جمال خلقه وإن كانت على أعيننا ما تزال غشاوة .

والطبيعة لم تفعل شيئا غير ما تفرضه قوانينها فالذرات تتكون من أجزاء تحكمها قوانين كالقوانين التي تحكم كل المخلوقات ، والطبيعة تعجز عن الابتكار فكيف لها أن تأتي بتصميمات وتكوينات رائعة كتلك التي نراها ونشعر بها في الحياة .

فالطبيعة إذن لا تقدر على خلق الحياة فهي بذاتها مخلوقة ، وإذا تساءلنا عن ماهية الحياة فإننا نرجع إلى قول الحق تبارك وتعالى

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(الاسراء ٨٥)

وتعالوا لنتفكر في قول الحق تبارك وتعالى :

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

(فاطر ١١)

ولعل اولي العلم هم الأقدر على رؤية الحق وهم الأقوياء بايمانهم :

وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

(سبأ ٦)

هل جاء الخلق بالتطور ؟

(نظرية دارون)

استطاع دارون اليهودي بكتابه «أصل الأنواع» أن يقنع كثيرين بنظريته التي يقول فيها* : بأن أصل الكائنات الحية بدأت من جرثومة هبطت من أحد الكواكب ثم تكاثرت فانتشرت ا لكائنات الحية وحيدة الخلية في الماء وعلى الأرض بأعداد هائلة ثم جرى التطور كما يلي :

حصل صراع بين هذه الكائنات والطبيعة من أجل البقاء وجرى الاصطفاء الطبيعي فالصالح منها بقي على ما هو عليه وأما الأصلح فقد تطور بفضل قانون النشوء والارتقاء إلى كائن أعلى ومرتبة أفضل . مما أوجد كائن جديد هو الدودة التي تكاثرت وأنتجت الديدان الكثيرة التي تطور الأصلح منها بفضل قانون النشوء والارتقاء لتكوين الحشرات ، ثم دخلت هذه الحشرات في صراع مع الطبيعة وجرى بينها الاصطفاء الطبيعي ليتطور الأصلح منها إلى كائن جديد أعلى وأفضل هو الطيور التي دخلت هي الأخرى في صراع مع الطبيعة من أجل البقاء فتطور الأصلح منها بفضل قانون النشوء والارتقاء إلى كائن جديد أفضل وأعلى وهو «الحيوان» .

وكان من حسن حظ الإنسان أن له من الصفات الكامنة ما يرتقي به فكان له السبق في هذا الصراع التطوري المتعاقب عبر عالم الحيوان ثم عالم القرود ثم عالم الإنسان الأول ثم عالم الإنسان المعاصر المتحضر .

---

* دراسات في الثقافة الاسلامية / الدكتور علي احمد السالوس وآخرين .

أعتقد أن التفكير في هذه النظرية يقودنا إلى أنها مبنية على أوهام وظنون وليس لها أية قواعد وحقائق علمية فصاحبها تخيل أن أصل الحياة نشأ في كوكب آخر ثم وصلت الجرثومة إلى الماء والأرض ثم تخيل تطورها حتى صارت حيوانا أو إنسانا ولم يقل لنا صاحب هذه النظرية كيف دبت الحياة في الخلية الأولى . إذ أن تحول الجماد إلى حياة لا يأتي بنفسه فمن الذي حوله ؟ ومن الذي وضع الحياة في الخلية الأولى ؟

- إن افتراض نزول الجرثومة الأولى إلى الأرض من الكواكب الأخرى يقتضي مرورها بهذا الفضاء الشاسع بما يحويه من درجات حرارة متفاوتة وأشعة كونية قاتلة لا يتحملها أي كائن حي حتى ولو أوتي من الصلابة والمناعة أقصى درجاتها مما يدل على تفاهة هذا التصور وسذاجة من يقبلون به .
- إذا سلمنا بقانون البقاء للأصلح فإن ذلك يقتضي انقراض القرد وبقاء الإنسان ولكن هذا لم يحصل فالقرد لا زال موجودا مع الإنسان الأكثر رقيا .
- على مر العصور والأزمان لم يشاهد أحدا كما لم يذكر في التاريخ بأن صرصورا أصبح فأرا أو أن فأرا أصبح أرنبا أو قردا تحول إلى إنسان بل إن ما نشاهده أن كل نوع من النبات أو الحيوان يحتفظ بذاته ومواصفاته التي أوجده الله عليها .

وكذلك نسي دارون قانون الموت الذي يقع فجأة حيث لا يعرف مبدأ البقاء للأصلح فقد يفاجىء أسرة حية فيعصف بالقوي الأصلح ويترك الصالح وحتى الضعيف فكم من حوادث السير ذهب ضحيتها رجال أقوياء ونجا منها الضعفاء والأطفال . فنسيان الموت في نظرية دارون هو في منتهى الغرابة إلا أنه ينطق بما يؤمن به كثير من الملحدين في معتقداتهم وأفكارهم .

أما القرآن الكريم الكتاب السماوي الذي لم يتغير ولم يتبدل ولم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإن المسألة فيه في غاية البساطة والسهولة : هذا الوجود له خالق قدير عليم حكيم ، ما شاء كان وإذا أراد إيجاد شيء فإنما هي كلمة يقول : كن فيكون وهكذا خلق الله كل شيء .

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

(الملك ١٤)

مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ

(الكهف ٥١)

والماء عنصر في خلق الإنسان : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ

(النور ٤٥)

إذ أن الإنسان من ماء وطين :

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾

(ص ٧١ - ٧٢)

هذا الطين تحول بقدرة الله سبحانه وتعالى إلى صلصال كالفخار :

خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾

(الرحمن ١٤)

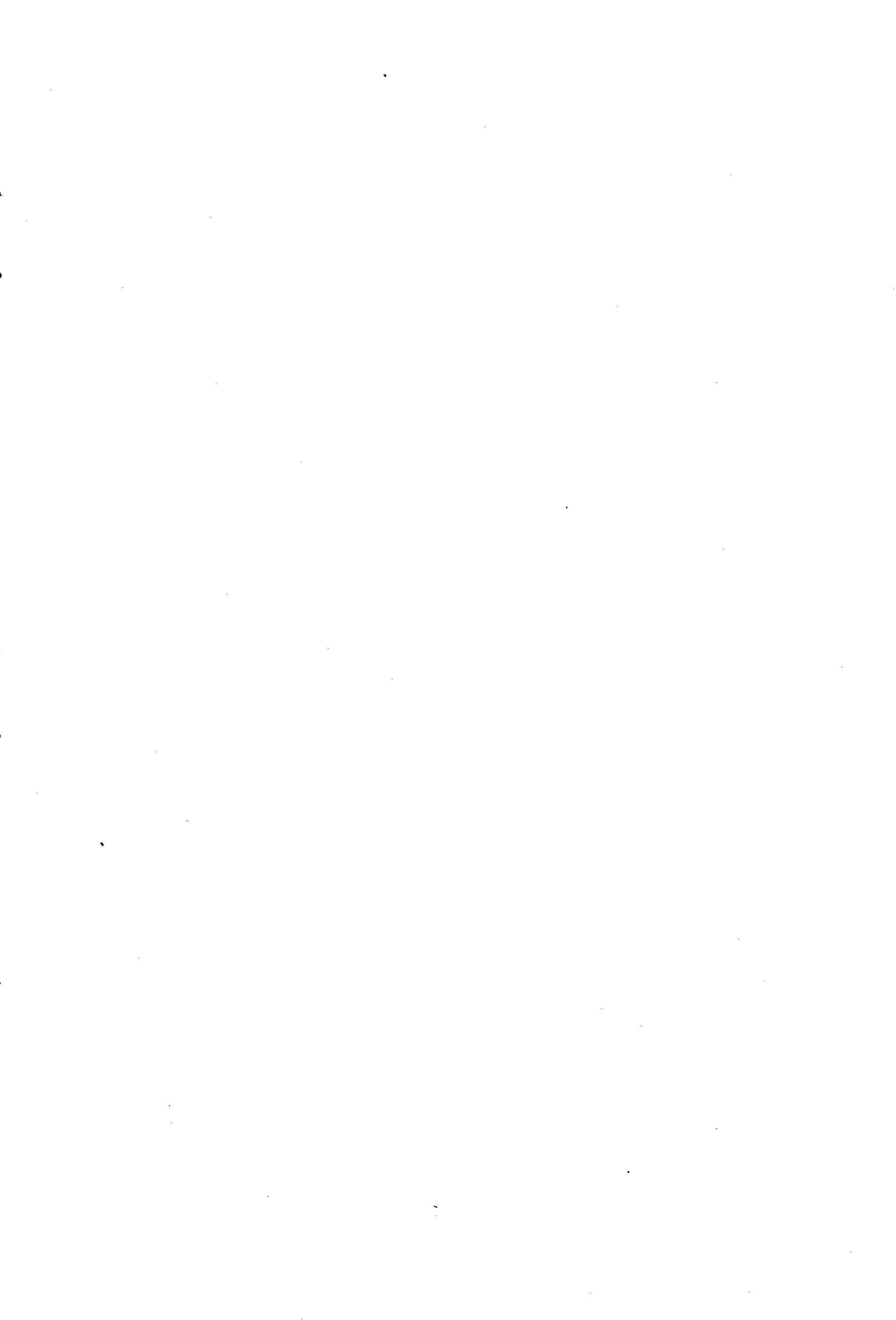
هذا الطين نفخ الله فيه من روحه فدب فيه الحياة فأصبح سميعا بصيرا متكلما عاقلا واعيا . وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم حين ينفخ فيه الروح وتدب فيه الحياة .

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾

(ص ٧٢)

هكذا كرم الله الإنسان فخلقه ونفخ فيه من روحه وأمر الله ملائكته بالسجود إكراما له ، وهكذا أراد الله للإنسان الأصل الكريم الطيب الذي يعتز كل منا بالانتساب إليه ، أما ذلك الإنسان الذي يصوره دارون وأصحابه في نظرية التطور بأنه ترقى عن صرصور إلى فأر ثم إلى قرد فهذا شيء يخجل الإنسان من الانتساب إليه .

فشتان بين ما أراد الله لنا من عزة وكرامة وبين ما يريده لنا الأفاكون من ذل ومهانة .



الفصل التاسع

آيات في الخلق والخالق

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ

(الحجر ٨٦)

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ

(القمر ٤٩)



القرآن وخلق السماوات والأرض

يقول الله تعالى في سورة الملك :

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ

(الملك ٣)

ويقول سبحانه وتعالى في سور الطلاق :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ

سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

(الطلاق ١٢)

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الإنبياء :

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا

مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

(الأنبياء ٣٠)

من الأيات الكريمة المذكورة أعلاه يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى خلق سبع سماوات طباقا أي طبقة فوق بطبقة كما تدلنا على أن في خلق الأرض كما في السماوات سبع طبقات ، كما يمكن الاستدلال ببساطة على أن الأرض التي خلقها الله تعالى هي أرض واحدة تتركب من سبع طبقات بعضها فوق بعض ، تضم بعضها بعضا وتبدأ من المركز (نواة الأرض) وما يحيط بها ثم طبقة النيفا (NIFE) إشارة إلى النيكل والحديد الذي تحويه ثم السيما الحديدية تليها طبقة السيما (SIMA) إشارة إلى العنصرين الرئيسين في تركيبها وهما السيليوم

والماغنيزيوم ثم طبقة السيال (SIAL) واشتق اسمها من الحرفين الأولين من كل من السيليوم والألمنيوم العنصرين الأكثر تركيزا فيها تليها الطبقة المائية (HYDROSPHERE) ثم الطبقة الغازية (ATOMOSPHERE) وهي ما يحيط بنا من هواء (وفي هذا يقول الأستاذ محمود قاسم في كتابه الإسلام وحقائق العلم صفحة ٧٥ (أن هذا يدلنا بوضوح على أن الأرض التي نعيش عليها بطبقاتها السبع هي المعنية بقوله تعالى ،وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

فإذا كانت الإنسانية تجهل ان الأرض ذات سبع طبقات بل كانت تجهل جهلا تاما مجرد وجود طبقات للأرض فكيف عرفها محمد ﷺ وهل هناك احتمال آخر غير أنه وحي من لدن عليم خبير .

ويقول الأستاذ محمود قاسم في كتابه المشار إليه في تفسيره للآية الكريمة من سورة الطلاق ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

أن هناك تماثلا بين الأرض والسماوات السبع وهي ما نطلق عليه اسم الكون ومن التماثل الذي تقرره الآية الكريمة بين الأرض والكون نعرف أن السماوات السبع مكورة بعضها على بعض وبالتالي فإن الكون كله يكون كروي الشكل .

وقد أصبح معروفا اليوم بأن الأشياء كلها بطبيعتها تميل إلى التكور فوحدات الفضاء الكوني (الشمس والكواكب) هي كروية وكذلك الأرض بطبقاتها تتكور على بعضها البعض وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
(الحجر ١٩)

والشكل الهندسي الوحيد الذي يبقى ممدودا أمامك مهما سرت عليه هو الشكل الكروي (والأرض بعد ذلك دحاها) والمعروف في اللغة بأن الشيء الذي يدحى يكون كرويا أو شبيها بذلك .

كما ثبت حديثا بأن الوحدات الذرية بما تحويه من بروتونات والكترونات ونيوترونات هي أيضا كروية كما أن وحدات الفضاء الكوني بما فيه من شموس وتوابعها هي أيضا كروية .

ولعلنا نجد ترابطا بين هذا المفهوم القرآني والطواف الدائري حول الكعبة المشرفة الذي سيبقى دون انقطاع إلى يوم القيامة .

إن كل شيء في هذا الكون يتحرك دائريا (يدور) من الذرّة إلى الأرض ، القمر والشمس ، وكل النجوم حتى المجرات في دوران دائم مختلف الأشكال والأساليب ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ .

فإذا كان الفكر الحديث والعلم الحديث وكل الحسابات الفلكية والرياضية في أيامنا هذه قادت إلى التماثل العجيب بين الأرض والسماوات (الكون) وقادت إلى كروية الأرض ، وكروية وحدات الفضاء وكروية الذرات كما أظهرت بما لا يترك مجالا للشك الحركات الدائرية والكروية للأرض والنجوم والشمس والقمر حتى دوران الإلكترونات حول البروتونات في الذرات . أفلا يدلنا هذا على الله العظيم ، خالق السموات والأرض ؟

وإذا كان القرآن الكريم قد اعلمنا بهذه الحقائق الكونية سابقاً العلم الحديث باكثر من اربعة عشر قرناً أفلا يدلنا هذا على بديع صنع الله وروعة التنظيم في الخلق . . .

وما الذي يُجبر رسولنا الكريم النبي الأمي ان يقحم نفسه في هذه الأمور العلمية ؟

حقاً انه لا ينطق عن الهوى ، بل هو وحي يوحى ! آمنت بالله ربي ولا اشرك به أحدا .

القرآن وخلق الإنسان

في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تطلب من الإنسان أن يبحث ويتأمل ويتفكر في بداية خلقه ونشأته الأولى ونكتفي منها بما يلي :

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾

(الطارق ٥ - ٧)

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

(الانسان ٢)

والنطفة الأمشاج هي اختلاط بين ماء الرجل وماء المرأة حيث يحوي الأول الحيوان المنوي للرجل والثاني بويضة المرأة وكل منهما يحتوي على ٢٣ كروموسوم ليشكلا بعد التلقيح ٤٦ كروموسوم أي خلية إنسانية كاملة .

إن الحيوانات المنوية يحملها ماء دافق هو ماء المني وقد أراد الله أن يكون ماء دافقا أي يتدفق دون إرادة الإنسان ليكون الخلق من صنع الله وتدبيره وليس للإنسان إرادة فيه .

وكذلك البويضة تكون في حويصلة جراف محاطة بالماء ، فإذا انفجرت الحويصلة تدفق الماء وساعدت أهداب البوق لتدخل البويضة في قناة الرحم حيث تلتقي بالحيوان المنوي لتكوين النطفة الأمشاج .

وفي هذا يقول الأستاذ بسام دفضع في كتابه (الكون والإنسان بين العلم والقرآن) ما يلي :

ان ماء المرأة يتدفق من حويصلة جراف مع البويضة ويحملها تماما كما يحمل ماء الرجل ا لحيوانات المنوية كلاهما يتدفق وكلاهما يخرج من بين الصلب والترائب كما أن تغذيتهما وترويتهما بالدماء والأعصاب تأتي من بين الصلب والترائب .

ويتضح معاني الآية الكريمة في إعجازها العلمي الرائع : ماء دافق من الخصية يحمل الحيوانات المنوية وماء دافق من حويصلة جراف بالمبيض يحمل البويضة . وصدق الله العظيم

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾
(الطارق ٥ - ٧)

وقد بينت الدراسات الجنينية الحديثة وأحدث ما توصل إليه علم التشريح أن نواة الجهاز التناسلي في الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقري وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر ، حيث تبقى الكلى في مكانها وتنزل الخصية إلى مكانها الطبيعي في الصفن عند الولادة . وعلى الرغم من انحدار الخصية إلى أسفل فإن الأوعية الدموية التي تغذيها تبقى في مكانها الذي نشأت فيه كما أن العصب الذي ينقل الإحساس ويعمل على أمرها بإنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحبها هو متفرع من العصب ا لصدري الذي يغادر النخاع الشوكي بين الضلعين العاشر والحادي عشر .

وهذا يدل دلالة واضحة أن الأعضاء التناسلية وما يتصل بها من أوعية دموية وأعصاب تنشأ في موضع في الجسم بين الصلب والترائب أي العمود الفقري والقفص الصدري .

وكذلك الحال بالنسبة لبويضة المرأة التي تتشكل أولا في مكان ما بين

العمود الفقري والقفص الصدري أي أن منشأها ومبدأها هو من بين الصلب والترائب وتبقى تلك البويضة وما يحيط بها متصلة هي الأخرى بمكان نشأتها بواسطة الأوعية الدموية والأعصاب .

وهكذا نرى أن معظم الأعضاء التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية عند الذكر والأنثى تنشأ من موضع في الجسم بين الصلب والترائب ثم تهاجر مواضعها في جسم الرجل وجسم المرأة ، وإن منشأ الماء الدافق ليس في الصلب والترائب وإنما تخرج أصول هذا الماء من بين الصلب والترائب فينشأ الماء منها في الخصية والمبيض .

وفي ذلك إعجاز علمي دقيق وعظيم لا يقدر عليه بشر مهما اوتي من العلم .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾

(المؤمنون ١٢ - ١٤)

لاحظ الاعجاز العلمي في تكرار كلمة خلقنا قبل كل مرحلة من مراحل تكون الجنين ففيها الدلالة على ان الانسان في كافة مراحل عمره هو من خلق الله وليس للصدفة او الطبيعة او التطور شأن في الخلق ، ،لاحظ الاعجاز العلمي في خلق العظام قبل اللحم الذي عرفه العلم في عصرنا الحالي فقط .

القرآن وخلق الأكوان

إن أحدث النظريات وأكثرها قبولاً عن نشأة الكون وهي نظرية الانفجار العظيم (Big BangTheory) التي تقول بأن هذا الكون كانت بدايته من جرم واحد(مرحلة الرتق) انفجر هذا الجرم (مرحلة الفتق) وتحول الى غلالة من الدخان (مرحلة الدخان) .

والتجربة العلمية تتوافق مع القرآن الكريم فالجرم ذو الكثافة العالية جداً إذا انفجر يتحول الى غلالة من دخان . رلعل كلمة دخان تعطي المعنى بإعجاز كبير ، فالدخان أغلبه غاز وبه بعض الجسيمات الصلبة وبه شيء من السواد وله بعض الحرارة .

والقرآن الكريم يصف لنا هذه الحقائق العلمية بأسلوب واضح جميل إذ يقول تعالى :

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

(الانبياء ٣٠)

ويقول تعالى :

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ

(فصلت ١١)

إن القرآن الكريم يصف لنا الخلق وصفاً دقيقاً متطابقاً مع ما وصل إليه العلم حديثاً إذأن من غلالة الدخان نشأت الأجرام السماوية وظل بعض ذلك الدخان بين تلك الأجرام ، ويقول لنا العلماء اليوم بأنهم لاحظوا تخلق العديد من الأجرام السماوية ، ولعل ذلك يفسر لنا قول الحق تبارك وتعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ

(ق ٣٨)

وقوله تعالى :

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

(المائدة ١٧)

ويقول لنا العالم العربي المسلم الدكتور زغلول النجار* في ذلك قولاً جميلاً : إن عملية اتساع الكون إلى الخارج لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية ، فهي محصلة الانفجار الأول (Big Band) ولما كان معدل اتساع الكون اليوم يسير أبطأ مما كان عليه ، فسوف يأتي على هذا الكون زمان تتساوى فيه القوتان : القوة الدافعة إلى الخارج نتيجة الانفجار والقوة اللاّمة إلى الداخل بالجاذبية ، وتضعف القوة الدافعة إلى الخارج حيث تبدأ قوى الجاذبية في تجميع الكون مرة أخرى في جرم واحد مشابه للجرم الابتدائي الأول الذي ابتدأ به الخلق ، ويسمي العلماء المعاصرون هذه النظرية باسم نظرية الانسحاق الشديد (Big Lunch Theory) والقرآن يسبق العلم بأكثر من ألف وأربعمائة سنة في

* انظر الدكتور زغلول النجار (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) ص ٤٢ - ٤٥ .

الاشارة إلى تلك النبوءة بقوله تبارك وتعالى :

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ

(الأنبياء ١٠٤)

هذا يعني أن عملية خلق الكون سوف تعيد نفسها بأمر الله تعالى فيتحول إلى جرم عالي الكثافة ينفجر وبتحول إلى غلالة من الدخان ﴿كما بدأنا أول خلقٍ نعيده﴾ .

ومن هذا الدخان يخلق الله تعالى أرضاً غير الأرض وسماوات غير التي نعرفها . ويقول تعالى

يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ

(ابراهيم ٤٨)

فكيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم ما كان يجهله البشر في عصره وماذا كان يجبره على إقحام نفسه في مثل هذه الأمور العلمية الدقيقة ، حقاً إنه وحي من لدن عليم خبير اللهم إني آمنت بك وبقرآنك ونبيك محمد ﷺ .

القرآن والحقائق العلمية الكونية

لا شك ان العلوم العصرية بلغت في أيامنا هذه الذروة واصبحت المرجع الأهم للتقدم البشري والحضارة الانسانية ولكنني أقول بكل الثقة أن القرآن الكريم تعرض لتلك الحقائق الكونية وبيّنها بدقة بالغة تبهر كل من يتعمق بدراسة تلك الآيات القرآنية ويحللها ويتفكر في معانيها وهذه بعض الامثلة :

- يقول الله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ (التكوير ٢)
- ويقول تعالى ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ (المرسلات ٨)

يؤيدالعلم الحديث الآن ما جاء به القرآن الكريم قبل اكثر من اربعة عشر قرناً فيقول بأن هذه النجوم التي نراها متوهجة عن بعد ، لا بد لها في أحد مراحل حياتها من الانكدار والانطماس اي يقل توهجها تدريجياً حتى يختفي نورها بالكامل وتصبح كأنها بقع سوداء كبيرة يطلق عليها العلماء اليوم اسم (Black Holes) . والسبب العلمي لذلك هو ان النجم كالشمس تماماً يعتبر مضيئاً بذاته أي أن توهجه ناتج عن اشتعال ذاتي بسبب التفاعلات الكيماوية والنووية بداخله ، وهذه التفاعلات تنقص تدريجياً مع الزمن ، وتزداد تبعاً لذلك كثافة النجم بشكل كبير جداً بحيث ان الضوء لا يمكنه الخروج من داخله بل يقل انبعاثه تدريجياً .

فيخبت نوره أولا ←——— انكدار

ويختفي نوره ثانياً ←——— طمس

ان هذه المظاهر والشواهد الكونية التي يطلعنا عليها الله هذه الايام ، تؤكد

لنا حصولها بتلك الكيفية في يوم الفصل

لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ

- ويقول الله تعالى (الزخرف ٧٨)

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾

(التكوير ١٥ - ١٦)

والخنس هي النجوم المختفية إذ أن كلمة خنس معناها اللغوي اختفى ولم يظهر .

ويتحدث العلماء اليوم عن الثقوب السوداء الضخمة (النجوم المختفية) التي تنشأ عن تلك النجوم المبهرة بعد ان تزداد كثافتها كثيراً ولا يستطيع الضوء ان يخرج منها . (انظر صورة الغلاف) .

إن تلك النجوم الضخمة ذات الكثافة العالية جداً تأخذكل ما يقع عليها من ضوء وطاقة أثناء جريانها ولذلك ذكرها الله في القرآن الكريم باسم الْجَوَارِ الْكُنَّسِ أي تلك النجوم الجارية التي تكنس وتمسح صفحة السماء في الكون ، إن تلك النجوم المختفية قد تصل كثافتها الى حدكبير جداً مما يرفع من كتلتها ويزيد من الضغط بداخلها فتنفجر وتتحول الى كمية كبيرة جداً من الدخان (غلالة) تنشأ عنها نجوم جديدة وتلك (صورة عن الخلق الأول)

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ

(الأنبياء ١٠٤)

إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ

(البروج ١٣)

ويقول د . جورن ويليامز من جامعة توبنجن حبث كلف برئاسة فريق بحث

دولي لدراسة قلب المجرة الحلزونية MCG - 6 - 3015 التي تبعد عنا مائة مليون سنة ضوئية ان الجاذبية في منطقة الثقب الاسود تبدو قوية جداً بحيث ان كل شيء في الفضاء يدور حول الثقب الاسود ساحباً خطوطاً من الحقل المغناطيسي معه ، والحقول المغناطيسية تلك تنضغط حول الثقب الاسود مبطئة من سرعة دورانه حيث ترتفع درجة حرارة المنطقة الى درجات عالية جداً بسبب الاحتكاك .

ويقول الدكتور روجر بلاندفورد من جامعة كمبريدج ان الثقوب السوداء تتصف بجاذبية فائقة بحيث تبتلع كل شيء حولها ، وحديثاً تبين للدكتور بلاند فورد وزميله رومان زناجك من جامعة كمبريدج ان ثقباً اسودموجود في حقل مغناطيسي قوي ، قد يسمح لبعض الطاقة بالتحرر والانطلاق وهو ما اكده تلسكوب ESA XMM - Newton في أحدث المشاهدات الكونية . فسبحان الله القائل

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾

(التكوير ١٥ - ١٦)

ما اعظم كلام الله وما أصدق رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى .

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا

(المرسلات ٢٩)

● ويقول الله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا (الرعد ٤١)

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ

(الأنبياء ٤٤)

الآن وبعد اكثر من اربعة عشر قرناً يقول لنا العلم في احدث نظرياته بان خروج الغازات والأبخرة والمواد الصلبة والسائلة من الارض وخسرانها للكميات الهائلة من الطاقة نتيجة حصول البراكين فيها يؤدي الى نقصان حجمها وكتلتها بالتدريج مع الزمن كما ان العوامل البيئية من أمطار ورياح وعواصف تؤدي الى تحريك الصخور والأتربة من الجبال الشاهقة والأرض المرتفعة الى المنخفضات مما يقلل من حجم الكرة الارضية ، هذا بالإضافة الى ان طغيان المحيطات والبحار على اليابسة من شأنه ان يقلل من حجم الارض وهو ايضاً إنقاص للارض من أطرافها ، ويقول العلماء اليوم بان الارض التي نعيش عليها كانت عند خلقها اكبر مائتي ضعف عن حجمها الحالي فسبحان الله القائل :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا

(الرعد ٤١)

● ويقول الله تعالى :

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾

(الرحمن ٣٧ - ٣٨)

مع ان الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يخبرنا عن شدة الأهوال في الآخرة حيث تنشق السماء وتتصدع فتُرى وكأنها وردة حمراء من شدة الحرارة تشبه الدهان الاحمر ، فقد مَنّ علينا سبحانه وتعالى بالكثير من الشواهد الحسية والظواهر المرئية في الكون للتأكيدعلى امكانية حدوث ما أخبر عنه في القرآن الكريم .

وفي ذلك يقول العلامة الدكتور زغلول النجار في كتابه (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) صفحة ٦٦ ما يلي

من أمثلة ذلك ما أرسله إلينا تلسكوب هافل الفضائي من صور لعدد من النجوم عند انفجارها إذ قامت مؤسسة الفضاء الامريكية (ناسا) حديثاً بنشر عددمن الصور التي بثها هذا التلسكوب الفضائي لنجوم في مرحلة الانفجار في سديم يعرف باسم (عين القط) وهذه النجوم على مسافة منا تقدر بحوالي ثلاثة آلاف سنة ضوئية ، وكل نجم من تلك النجوم المتفجرة يبدو في الصورة على هيئة وردة حمراء عملاقة لها من صفاء اللون ما جعل العلماء يصفونها بالتعبير الانكليزي الذي ترجمته (وردة حمراء مدهنة) وكأنه التعبير القرآني بدقته اللفظية والدلالية .

(انظر صورة الغلاف المنقولة عن الكتاب نفسه) .

الفصل العاشر

الله
في أقوال
علماء الطبيعة

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾

(فاطر ٢٨)



هل لهذا الكون من خالق ؟

إن كل العلوم تثبت أن في هذا الكون نظاما خارج عن قدرة وإرادة البشر ، يعتمد على قوانين كونية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل وهي لا تخالف العلم بل تسير معه ، فمن الذي سن القوانين الكونية وأودعها في كل ذرة عند نشأتها الأولى؟ ومن الذي خلق كل ذلك النظام والتوافق والانسجام ؟ من الذي صمم فأبدع وقدر فأحسن التقدير ؟

هذه الأسئلة وغيرها طرحت على مجموعة من العلماء المتخصصين في سائر فروع العلوم وأجاب هؤلاء إجابات علمية وبينوا الأسباب التي تدعوهم إلى الإيمان بالله ، لقد أظهر هؤلاء العلماء كيف تدلهم العلوم وقوانينها بدقتها المتناهية على أنه لا بد أن يكون لهذا الكون من بداية ، وإذا كان للكون بداية فلا بد له من مبدىء بنفس العظمة ؛ له من العقل والإرادة والعلم والبصيرة والحكمة والقدرة والملك والوجدانية ما ليس لبشر أو مخلوق .

لقد رأيت من المفيد أن أنقل إجابات هؤلاء العلماء قبل أكثر من خمسين عاماً وهي واردة في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) الذي ترجمه عن الإنجليزية الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان وأشرف على تحريره الأمريكي (John Clover Monsma) :

دكتور فرانك ألين / عالم الطبيعة البيولوجية/جامعة كورنل :

كثير ما يقال إن هذا الكون المادي لا يحتاج إلى خالق ولكننا إذا سلمتا بأن

هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده ونشأته ؟ هناك أربعة احتمالات ؛ فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال وهو ما يتعارض مع الواقع الملموس ، وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم ، وإما أن يكون أبديا ليس لنشأته بداية ، وإما أن يكون له خالق .

فالاحتمال الأول يعني أن إحساسنا بهذا الكون وإدراكنا لما يحدث فيه لا يعدو أن يكون وهما من الأوهام وهذا رأي وهمي لا يحتاج إلى مناقشة أو جدال لأنه يتعارض مع الواقع والوجود الفعلي الذي نعيشه ونشعر به . والرأي التالي القائل بأن هذا العالم بما فيه من مادة وطاقة ونظام قد نشأة هكذا وحده من العدم لا يقل عن سابقه سخفا وحماقة ، ولا يستحق أن يكون موضعا للبحث أو المناقشة .

أما الرأي الثالث الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية إنما يشترك مع الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون وذلك من عنصر واحد هو الأزلية . إذا فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت أو ننسبها إلى إله حي يخلق ، وليس هنالك صعوبة علمية وعقلية في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين اكثر مما في الآخر ، ولكن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وأنها سائرة حتما إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل ا لحياة . أما الشمس كمصدر للطاقة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو إذن حدث من الأحداث ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بدابة ، عليم محيط بكل شيء ،

قوي ليس لقدرته حدود ، ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه ، ويضيف فرانك ألين :

وعلى ذلك فإن الأرض بحجمها وبعدها الحاليين عن الشمس وسرعتها في مدارها تهيء للإنسان أسباب الحياة والاستمتاع بها في صورتها المادية والفكرية والروحية على النحو الذي نشاهده اليوم في حياتنا فالحياة إذن نشأت بحكمة وتصميم وليست عن طريق المصادفة .

دكتور ميريت ستانلي كونجدن/عالم الطبيعة والفلسفة/جامعة بوتون :

نستطيع بطريقة الاستدلال والقياس وبقدرة الإنسان وذكائه في عالم يفيض بالأمور العقلية ، إن نصل إلى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبره تدبر هذا الكون وتدبر أموره وتعيننا على فهم ما يصعب علينا من منحنيات التوزيع ودورة المياه في الطبيعة ودورة ثاني أكسيد الكربون وعمليات التكاثر العجيبة وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية ، وما لا يحصى من عجائب هذا الكون ، إذ كيف يتسنى لنا أن نفسر هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية والتكامل والتوافق والتوازن التي تنظم سائر الظواهر وتمتد آثارها إلى كل العصور ؟ كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذي خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره ؟

إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه وتعالى ويدل على قدرته وعظمته ، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نعمل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته ، ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية

المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود . وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته .

دكتور جون كليفلاند كوتران/عالم كيمائي/جامعة كورنل :

قال لورد كيلفي - وهو من علماء الطبيعة البارزين في العالم - هذه العبارة القيمة :

(إذا فكرت تفكيراً عميقاً فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد في وجود الله) . وإنني أعلن عن موافقتي كل الموافقة على هذه العبارة .

تدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة بطيئة وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية أي أنها ليست أزلية إذ أن لها بداية . وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن البداية لم تكن بطيئة أو تدريجية بل وجدت بصورة فجائية ، وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقا وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان .

فإذا كان هذا العالم المادي عاجزا عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التي يخضع لها ، فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي ، وتدل الشواهد كلها على أن هذا الخالق لا بد أن يكون متصفا بالعقل والحكمة ولا بد مع هذه الصفات من توفر الإرادة ، ولا بد لمن يتصف بالإرادة أن يكون موجودة وجودا ذاتيا وأزليا . وعلى ذلك فإن النتيجة المنطقية الحتمية التي يفرضها العقل ليست مقصورة على أن لهذا ا لكون خالقا فحسب بل لا بد أن يكون هذا الخالق حكيما عليما قادرا على كل شيء حتى يستطيع أن يخلق هذا الكون وينظمه

ويدبره ، ولا بد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود تتجلى آياته في كل مكان . وعلى ذلك فلا بد من التسليم بوجود الله خالق هذا الكون وموجهه .

دكتور أدوارد لوثر كيسيل / عالم أحياء/ جامعة كاليفورنيا :

العلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا فهناك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ولا يمكن أن يحدث العكس بقوى ذاتية بحيث تعود الحرارة من الأجسام الباردة إلى الإجسام الحارة . ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وبذلك ينضب معين الطاقة . وتتوقف بالتالي العمليات الكيماوية والفيزيائية ، ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون . يعني أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا ، وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط فيه ، وهكذا تكون العلوم قد توصلت ودون قصد إلى أن لهذا الكون بداية ، وهي بذلك تثبت وجود الله ، لأن ما له بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ بنفسه ولا بد له من مبدىء ، أي من خالق ، هو الله العليم القدير .

ولقد مَنَّ الخالق على جيلنا وبارك جهودنا العلمية بكشف كثير من الأمور حول الحياة والطبيعة وصار من الواجب على كل إنسان أن يستفيد من هذه الكشوف العلمية في تدعيم إيمانه بالله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر ٢٨) .

وقد أثبتت العلوم بأن هذا الكون بدأ دفعة واحدة وقد وضع الخالق قوانين هذا الكون وسخرها سبحانه وتعالى لاستمرار عملية الخلق .

وأعود للقول بأنني كلما استرسلت في دراستي للطبيعة والكون ازدادت قناعتي وقوي إيماني بوجود الخالق المبدع والإيمان به .

دكتور وولتر أوسكار لندبرج/عالم فسيولوجيا وكيمياء حيوية /جامعة جونز هوبكنز

مجمل القول أن الطريقة العلمية تقوم على أساس انتظام الظواهر الطبيعية والقدرة على التنبؤ بها في ظل هذا الانتظام ، ونستطيع أن نقول بكل دقة أن هذا الانتظام في ظواهر الكون والقدرة على التنبؤ بها - وهما الأساسان اللذان تقوم عليهما الطريقة العلمية - هما في الوقت ذاته أساس الإيمان بفكرة وجود الله ، إذ كيف يتسنى أن يكون هنالك كل هذا الانتظام ، وكيف يتسنى لنا أن نتنبأ بهذه الظواهر ما لم يكن هنالك مبدع ومدبر وحافظ لهذا النظام العظيم ؟

ولا تنبع فكرة الإيمان بوجود الله أصلا من قدرة الإنسان على تقدير هذا النظام أو التنبؤ بما يترتب عليه ، ولكنها ترجع إلى أن الإنسان بنفسه قد خُلق خليفة الله[1]

فإذا آمن الإنسان بما تكشف عنه وتدل عليه الظواهر الطبيعية من أن الإنسان هو الذي خلق على صورة الله أو خليفة الله ، فإنه يسير في الطريق السليم نحو الإيمان بجلال الله وقدسيته[2]

إن الإيمان بالله مصدر لسعادة لا ينضب في حياة كثير من البشر[3] . أما المشتغلون بالعلوم الذين يرجون الله فلديهم متعة كبيرة يحصلون عليها كلما وصلوا إلى كشف جديد في ميدان من الميادين . إذ أن كل كشف جديد يدعم

---

(١) ﴿وإذقال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (سورة البقرة ٣٠) .

(٢) (يفرق القرآن تماما بين المخلوقات والخالق (ليس كمثله شيء) ومن أوصاف الله تعالى أنه ﴿نور السماوات والأرض﴾ وأنه ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ (سورة النور ٣٥)

(٣) ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (سورة الأنبياء ٧) .

إيمانهم بالله ، ويزيد من إدراكهم وإبصارهم لأيادي الله في هذا الكون[1]

دكتور كلارنس ايرسولد/ عضو جمعية الأبحاث النووية والطبيعية النووية/ جامعة كاليفورنيا :

لا شك أن اتجاه الإنسان وتطلعه إلى البحث عن عقل أكبر من عقله وتدبير أحكم من تدبيره وأوسع لكي يستعين به على تفسير لهذا الكون يعد في ذاته دليلا على وجود قوة اكبر وتدبير أعظم ، هي قوة الله وتدبيره .

وقد لا يستطيع الإنسان أن يسلم بوجود الخالق تسليما تاما على أساس الأدلة العلمية المادية وحدها ، ولكننا نصل إلى الإيمان الكامل بالله عندما نمزج بين الأدلة العلمية والأدلة الروحية ، أي عندما ندمج معلوماتنا عن هذ الكون المتسع إلى أقصى حدود الاتساع ، المعقد إلى أقصى حدود التعقيد مع إحساسنا الداخلي والاستجابة إلى نداء العاطفة والروح الذي ينبعث من أعماق نفوسنا . ولو ذهبنا نحصي الأسباب والدوافع الداخلية التي تدعو ملايين الأذكياء من البشر إلى الإيمان بالله لوجدناها متنوعة لا تحصى ، وكلها قوية في دلالتها على وجوده تعالى ، مؤدية إلى الايمان بالله .

إن الأمر الذي نستطيع أن نثق به كل الثقة ، هو أن الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق ، بل أن لهما بداية ، ولا بد لكل بداية من مبدىء[2] كما لا بد لكل مخلوق من خالق ، وإننا نعرف إن هذا

---

(١) ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا القوم الظالمون﴾ (سورة العنكبوت ٤٩) ﴿سنريهم أياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (سورة فصلت ٥٣)

(٢) ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾ (النمل ٦٤)

النظام الرائع المعقد الذي يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان ، وأن معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية ، كما أن وراءها توجيها وتدبيرا خارج دائرة الإنسان[١] . إنها بداية مقدسة رائعة وتدبير إلهي محكم .

دكتور جورج إيريل دافيز / رئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية / جامعة منيسوتا :

لقد أتيح لي أن أبين الترتيب المعقد لبعض مكونات هذا الكون الذي لا تقل فيه روعة التذبذبات الداخلية لأصغر ذراته وما دونها عن النشاط المذهل لاكبر النجوم السابحة في افلاكها وتسير فيه كل التفاعلات الكيماوية وفق قوانين ثابتة لا تتغير كما ان خواص كل كائن هي الاخرى تسير وفق قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تتغير وإن هناك ما هو أشد إعجازا وأكثر دلالة على وجود الله ، فمن تلك الجزئيات البسيطة لم تنشأ النجوم والكواكب والمادة فحسب بل نشأت كذلك أنواع متطورة من الأحياء بل كائنات تستطيع أن تفكر وتبتكر أشياء جميلة[٢] ، بل هي تبحث عن أسرار الحياة والوجود ، إن كل ذرة من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله[٣] ، وأنها تدل على وجوده حتى دون حاجة إلى الاستدلال بأن الأشياء ا لمادية تعجز عن خلق نفسها .

دكتور أدوين فاست/موظف في الطاقة الذرية/جامعة أوكلاهوما :

عندما تحاول العلوم أن تفسر لنا منشأ الكون نجدها تبين لنا في ضوء ما لدينا من المعلومات عن الطبيعة النووية كيف تتفاعل الجزيئات الأساسية لكي تُكونِ

(١) ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ (سورة البقرة ٢٥٥)
(٢) ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (سورة الذاريات ٢١)
(٣) ﴿إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ (سورة آل عمران ١٩٠)

لنا جميع العناصر المعروفة ، فجميع العناصر التي يتألف منها هذا الكون تبدأ ببروتونات لها خواص معينة وقوة جاذبية تجعلها تنضم ببعضها إلى بعض . أما كيف نشأت هذه البروتونات ولماذا كان لها هذه الصفات ؟ فإن ذلك لم تستطع أن تقدم له العلوم شرحا أو بيانا مقنعا . ومهما بالغنا في تحليل الأشياء وردها إلى أصولها الأولى ، فلا بد أن نصل في نهاية المطاف إلى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هذا الكون . ويعد ذلك في ذاته دليلا على وجود الله القادر المدبر ، هو الذي قدر لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون أن تسير في طريقها المرسوم ، وقد خلق الله الإلكترونات والبروتونات والنيوترونات ووضع فيها خواصها المعينة ، فرسم بذلك سلوكها وأقدارها .

وعندما تحاول عقولنا المحدودة أن تبحث عن ساعة الصفر في تاريخ هذا الكون ، نجدها تسلم ضمنا بأن لهذا الكون بداية ولحظة معينة نشأت فيها الذرات الدقيقة التي تتألف منها مادة هذا الكون . ولا بد أن تكون خواص الذرات وا لجزيئات التي تحدد سلوكها قد ظهرت معها في نفس الوقت . ومن المنطق السليم أن يكون الخالق الذي أوجد تلك الذرات والجزيئات هو الذي أودع فيها صفاتها التي تحدد سلوكها . ولا بد أن نسلم بأن قدرة الخالق وتدبيره واحكامه تفوق قدرة وتدبير الانسان بل البشر جميعا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وان اذكى العلماء لا يستطيعون إلا أن يعترفوا بأن الانسان لا يزال حتى اليوم في مهد معرفته باسرار هذا الكون وظواهره .

واذا نظرنا إلى الكائنات الحية الراقية ، فإننا نرى أن من بينها (الانسان) لديه من الذكاء والعقل ما يجعله قادرا على التخطيط والابتكار والقيام باعمال مذهلة . فإذا تصورنا ان كل ذلك يتم بمحض المصادفة التي تجعل الجزيئات والذرات تجتمع معا وتتحد لتكون اعضاءً ثم اجساماً تقوم بدورها بالتكاثر واداء

سائر وظائف الحياة ويكون لها عقل وتفكير ، دون أن يكون وراء كل ذلك إله مدبر قدير حكيم هو الذي خلق فصور فأبدع ، وحتى اذا فعلنا ذلك فإننا نكون قد أخذنا بفرض مستحيل من الوجهة العلمية والعقلية ، وطرحنا وراء ظهورنا فرضا منطقيا بسيطا ألا وهو وجود الله الذي انشأ هذا الكون وبدأه بقدرته ، فالله هو المبديء وهو الخالق المصور البارىء) إنه الله جلت قدرته .

دكتور جورج هربرت بلونت/ أستاذ الفيزياء التطبيقية/ كبير المهندسين بقسم البحوث بجامعة كاليفورنيا :

لا يمكن أن يتصور العقل أن هذا النظام قد نشأ من العدم أو من الفوضى ، وعلى ذلك فإن الإنسان المفكر لا بد أن يصل ويسلم بوجود إله منظم لهذا الكون ، وعندئذ تصير فكرة الألوهية من بديهيات الحياة ، بل الحقيقة العظمى التي تظهر في هذا الكون . والمطابقة بين الفرض والنتيجة تعد برهانا على صحة الفرض . والمنطق الذي نستخدمه هنا هو أنه إذا كان هنالك إله فلا بد أن يكون هنالك نظام وعلى ذلك فما دام هنالك نظام فلا بد من وجود إله .

فإذا قارنا بين الشواهد التي يستدل بها المؤمنون على وجود الله ، وتلك التي يستند إليها الملحدون في إنكار ذاته العليه اتضح لنا أن وجهة نظر الملحد تحتاج إلى تسليم أكثر مما تحتاج إليه وجهة نظر ا لمؤمن ، وبعبارة أخرى نجد المؤمن يقيم إيمانه على البصيرة .

أما الملحد فيقيم إلحاده على العمى . وأنا مقتنع أن الايمان يقوم على العقل وأن العقل يدعو إلى الإيمان . وإذا كان الإنسان يعجز أحيانا عن مشاهدة الأدلة ، فقد يكون ذلك راجعا إلى عدم قدرته على أن يفتح عينيه[1] .

---

(١) ﴿فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (سورة الحج ٤٦)

دكتور جون أدولف بوهلر/ دكتوراه في الكيمياء/ جامعة إنديانا :

إن الإنسان يشاهد التنظيم والإبداع حيثما ولىً وجهه في نواحي هذا الكون . ويبدو أن هذا الكون يسير نحو هدف معين ، كما يدل على ذلك النظام الذي نشاهده في الذرات ، فهنالك نظام معين تتبعه الذرات جميعا من الهيدروجين إلى اليورانيوم وما بعد اليورانيم . وكلما ازداد علمنا بالقوانين التي تتحكم في توزيع البروتونات والإلكترونات لإنتاج العناصر المختلفة ، ازداد إيماننا بما يسود عا لم المادة من توافق ونظام ، وقد يجيىء اليوم الذي ينكشف لنا فيه كيف تتجمع الطاقة لكي تكون تلك الكتل من المادة . ولقد كان أينشتين أول من أظهر العلاقات الموجودة بين المادة والطاقة . ولا يزال الإنسان في بداية الطريق ليكتشف أسرار الطاقة الذرية ، وقد نستطيع في يوم من الأيام أن نحول الطاقة إلى مادة .

وتدل الشواهد على وحدة الكون من الوجهة الكيماوية ، ولدينا من الطرق والوسائل ما يمكننا من اختبار كثير من العناصر الموجودة في الكواكب الأخرى ، ومعرفة أنها هي نفس العناصر التي توجد على الأرض . وحتى النجوم البعيدة عنا ، فإنها تشتمل على عناصر مشابهة لعناصر الأرض . ويعتقد العلماء أن القوانين الطبيعية التي تتحكم في هذا الكوكب هي عينها القوانين التي تخضع لها النجوم والكواكب الأخرى في أفلاكها النائية المترامية في الفضاء . فحيثما اتجهنا نجد الإبداع والنظام والتوافق ، حتى لم يبق هنالك من شك عندي في أن إلهً قادر قد أبدع هذا الكون وبناه وحدد وجهته وغايته .

الدكتور روبرت هورتون كاميرون/دكتوراه في الرياضيات/جامعة كورنل

إن رجال العلوم يعتمدون على التجارب ، وأنا مقتنع بوجود الله اعتقادا يستند إلى أدلة تجريبية ، ولكنها تجارب شخصية صرفه ومع ذلك فهي أقوى

لدي من كل دليل ، وأشد إقناعاً لي من أي برهان رياضي . لقد لمست هذا الدليل في نفسي منذ اثنتين وثلاثين سنة عندما كنت بحجرتي في القسم الداخلي بجامعة كورنل يوم جاءني البرهان وأغدق الله على قلبي نور الإيمان . لقد أصبح الله لدي أكبر من كل ما سواه حتى أنني أرضى أن أفقد كل شيء في هذا الوجود ولا أرتد إلى حالتي السابقة . لقد كان هو سبحانه وتعالى صاحب الفصل في هذا البرهان ، فهو الذي أنزله على قلبي وجعلني أعتقد في وجوده .

إن ما وصلت إليه العلوم حول وجود الله يتفق مع ما جاء في الكتب السماوية قبل عقود كثيرة من الزمن مِن أن الانسان يحصل على العلم بطريقتين : البصر والبصيرة .

أما البصر فهو ما نتعلمه في حياتنا وما نكتسبه عن طريق حواسنا من الخبرة بأُمور الحياة ، وأما البصيرة فهي ذلك النور الذي يفرغه الله في قلوبنا فيكشف به ما لا نعلم [1] وكذلك الحال فيما يتصل بالايمان بوجود الله ، إذ لا بد انِ يقوم اولاً على البصر وملاحظة الظواهر الطبيعية والعلمية ، ثم نلتجىء إلى الله لكي يكمل لنا إيماننا ويدعمه[2] .

---

(١) ﴿يؤتي ا لحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا اولو الالباب﴾ (سورة البقرة ٢٦٩) .

(٢) ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (سورة العنكبوت ٢٠) ﴿وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فَتُخبت له قلوبهم وان الله لهادِ الذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيم﴾ (الحج ٥٤) . ﴿نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء﴾ (النور ٣٥) .

الدكتور ديل سوارتزن دروبر/ دكتوراه فيزياء التربة/ جامعة أيوا

إن العلوم تستهدف كشف قوانين الطبيعة . ولا بد للمشتغل بالعلوم أن يسلم أولا بوجود هذه القوانين حتى لا يكون متناقضاً مع نفسه ، وقد أصبح من المحال أن ينكر أحد وجود هذه القوانين بعد أن اكتشف الإنسان الكثير منها في شتى الميادين . ومن الطبيعي أن يتساءل الإنسان بعد كل ذلك : لماذا وجدت هذه القوانين الطبيعية ولماذا قامت بين الأشياء المختلفة ، ومن بينها التربة والنبات ، تلك العلاقات العديدة التي تتسم بذلك التوافق الرائع بين القوانين مما يؤدي إلى تحقيق ا لنفع والفائدة ؟

إننا نعترف بأننا وقد وصلنا إلى هذا الحد من التفكير قد اقتربنا من الحد الفاصل بين العلوم والفلسفة . فكيف نفسر كل ذلك النظام والإبداع والتوافق والتقدير الذي يسود هذا الكون[1] ؟ هنالك حلان : فإما أن يكون هذا النظام قد حدث بمحض المصادفة وهو ما لا يتفق مع المنطق أو الخبرة ، كما لا يتفق مع قوانين الديناميكا الحرارية التي يعمل بها العلماء في مجالات كثيرة . وإما أن يكون هذا النظام قد وضع بعد تفكير وتدبير وهو الرأي الذي يقبله العقل والمنطق . وهكذا نرى أن العلاقة بين النبات والتربة تشير إلى حكمة الخالق وتدل على بديع تدبيره وتقديره .

إن إنكار وجود المصمم والمبدع الأعظم يشبه في تجافيه مع العقل والمنطق ما يحدث عندما يبصر الإنسان حقلا رائعا بما يحويه من نبات غاية في الروعة ، مرتبة ومنظمة بشكل جميل أخاذ ثم ينكر في نفس الوقت وجود الفلاح الذي زرع هذا الحقل والذي يسكن في بيت قائم بجواره .

(١) وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، والذي أخرج المرعى ، فجعله غثاء أحوى﴾ (سورة الأعلى ١ – ٥)

دكتور أندرو كونواي أيفي/عالم فسيولوجي/أستاذ في كلية الطب جامعة الينوي

إن الاعتقاد بأن الله مجرد خالق ومبدع لا يتفق مع الفكرة الدينية عنه ، ولكي أكون واضحا وموجزا فإنني أحب أن أستمر في التشبيه الذي بدأته عن الآلة وصانعها . وقبل أن أفعل ذلك أحب أن أشير إلى أن الدين يذهب إلى أبعد من ان يستطيع أن يصل إليه العقل حول هذا الأمر ، ولكنه لا يتعارض معه ، فعندما يقوم صانع مفكر بعمل آله ، يكون لديه تصميم لها وغاية من ورائها ، وهو في أثناء صناعتها يبث فيها نفسه وروحه ، وبعد أن يتمها يرتبط بها عاطفيا لأنه يكون مهتما بصيانتها وبالطريقة التي تعمل بها . وأنا لا أستطيع أن أتصور خالقا لا يصدق عليه هذا القول . والخالق سبحانه وتعالى كما تدل عليه أعماله يمكن الوصول إلى أنه بالغ العقل والحكمة والتدبير . إنني أعتقد بوجود إله إذا أدخله الناس إلى قلوبهم وحفظوه في عقولهم هداهم إلى مكارم الأخلاق وإلى السلوك السوي والقصد النبيل وأغدق عليهم محبته ومحبة كل الخلق .

ويسترسل الأستاذ العالم الفسيولوجي أندرو كونواي :

أن الإنسان لا يستطيع أن يكون حرا أو أن يعيش معيشة إنسانية إلا في عالم يقوم على الأخلاق وتحمل المسؤوليات فالناس متساوون وأحرار لا لشيء بل لأنهم عباد الله ، أي لم تقم المساواة بينهم إلا بوضعهم خلفاء الله على الأرض ، فهي مساواة من وجهة نظر الخالق والقانون الأخلاقي الذي أوجده الله[1] فإذا أنكر الإنسان وجود الله فإنه ينكر وجود القانون الأخلاقي وبذلك

(١) يصف القرآن هذا المساواة وصفا رائعا ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات ١٢) ويقول الرسول ﷺ : لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

تسود شريعة الغاب وتصبح القوة هي الحق ولا سبيل إلى محاربة الجشع واستغلال البشر .

دكتور سيسل هامان/ دكتوراه في البيولوجيا/ جامعة بوردو

أينما اتجهت ببصري في دنيا العلوم ، رأيت الأدلة على التصميم والإبداع ، على القانون والنظام ، على وجود الخالق الأعظم .

إن وجود الله في حياتي اليومية ، حقيقة لا مراء فيها ، حقيقة أقوى من الحقائق العلمية التي لا يتسرب إليها الشك ومع ذلك فإننا نستطيع أن نصف النجوم ونخطط مدارتها في السماء أو نثبت الأميبا على شريحة من الزجاج ثم نصورها ، إلا أننا لا نستطيع أن نحصل على الدليل المادي لوجودها ، فالإنسان لا يستطيع أن يدرك وجود الله حتى يتجه إليه اتجاها شخصيا وتكون لديه خبرة وقناعة شخصية ، فإذا رفض شخص أن ينظر خلال المجهر أو يتطلع إلى صورة الأميبا فإنه يستطيع أن يجادل حول عدم وجوها ويظل الجدال قائما ولكنه ما أن يراها أو يرى صورتها حتى تنهار حجته ، وكذلك الحال بالنسبة لوجود الله . قد يستطيع الإنسان أن يجادل طويلا في الله ، وما أن يلمحه الجاحد في بديع صنعه تعالى حتى تنهار حجته ، ويسلم بوجوده تسليما . ولكن لا بد أن تكون الخبرة والقناعة شخصية ، فإذا رفض الإنسان أن يرفع رأسه ويبحث عن الله فإن جداله قد يطول دون طائل .

فالله لا يشرق إلا في قلوب الباحثين عنه ، نعم ، إنني أؤمن بالله رب هذا الكون وربي كما أنني أراه في نفسي(١) وفي كل ما حولي .

---

(١) ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (سورة الذاريات ٢١) .

لا يستطيع كثير من الناس أن يعتقدوا بوجود الله دون أن يؤثر ذلك في مجرى حياتهم ، فالاعتقاد في وجود الله يؤثر في علاقاتهم الاجتماعية ويغير من نظرتهم نحو الحياة كما يغير من أفكارهم عن الأغراض والدوافع التي وراء هذا العالم المادي .

وكما أن الإيمان بمعناه الواسع ، يعتبر أمرا ضروريا بالنسبة لوجود الإنسان ، فإن الإيمان بالله يعد كذلك لازما لاكتمال وجود الإنسان وتمام فلسفته في الحياة ، وقد لمس ملايين الرجال والنساء الأذكياء ذوي الشخصيات السليمة المتزنة نتائج الاتصال بالله والإخلاص في عبادته . وكان إيمانهم بالله سببا في قضاء حاجاتهم النفسية والانفعالية والروحية بطرق لا تستطيع أن تحيط بكنهها عقولهم بل عقول البشر جميعا . وقد آمن كثير من الناس بالله فذاقوا حلاوة الإيمان في أنفسهم وفي قلوبهم بل في العالم المادي الذي تهتم العلوم بدراسته .

وعلى ذلك فإن المشتغل بالعلوم هو أول من يجب عليه التسليم منطقيا بوجود عقل مبدع لا حدود لعلمه وقدرته[١] ، موجود في كل مكان ، يحيط مخلوقاته برعايته سواء في ذلك الكون الواسع أو في كل ذرة أو جزىء من جزيئات هذا الكون اللانهائية في تفاصيلها الدقيقة .

(١) ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (سورة فاطر ٢٨) .

المراجـع

الكتـاب	المؤلـف
١ - القرآن الكـريم	شرح وتفسير أيمن عبد العزيز جبر
٢ - العلم يدعو للإيمان	أ . كريسي موريسون ترجمة محمود صالح الفلكي
٣ - القرآن محاولة لفهم عصري	مصطفى محمود
٤ - الله يتجلى في عصر العلم	جون كلوفرمونسما ترجمة الدكتور الدمرداش سرحان
٥ - الإعجاز العلمي في القرآن	المهندس رائف نجم
٦ - الكون والإنسان بين العلم والقرآن	محمود عبد الرؤوف قاسم
٧ - براهين عى أن الإسلام هو الحقيقة التي يبحثون عنها	بسـام دفضدع
٨ - الله	مصطفى محمود
٩ - توحيد الخالق	عبد المجيد الزنداني
١٠- التوحيــد	عبد المجيد الزنداني
١١- إعجـاز القرآن	الإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني
١٢- دراسات في الثقافة الإسلامية	الدكتور علي أحمد السالوس وآخرين
١٣- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم	الدكتور زغلول النجار .
١٤- التبرك المشروع والتبرك الممنوع	د . علي العليـاني

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تصويبات

الرجاء تصويب الأخطاء قبل قراءة الكتاب

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٣٤	٣	الكثيرة	الكبيرة
٤٤	الأخير	اوشخة	اوشحة
٥٩	الأخير	السطر مكرر	حذف السطر
٦٣	الأخير	فيوقتنا	في وقتنا
٧١	١٤	الدين صلوا	الذين ضلوا
٧٥	٩	قدابتعدعن	قد ابتعد عن
٧٥	١٣	قدانفجرت	قد انفجرت
٧٥	١٤	الكبير رالقسم	الكبير والقسم
٩٦	١	وحيزة	وجيزة
٩٦	١٢	نلك	تلك
٩٧	١	رالاضطرابات	والاضطرابات
١٠٩	٤	بقول	يقول
١١٤	١٨	الطواعيث	الطواغيت
١١٨	٤	وتحري	وتجري
١٢٤	١٦	بمشيئتع	بمشيئته
١٢٦	١٧	بتصمميات	بتصميمات
١٤١	٧	رلعل	ولعل
١٥٢	٧	التالي	الثاني
١٥٢	السطر الاخير	بدابة	بداية
١٥٤	١٧	موجودة	موجوداً

